المعهد العالمي للفكر الإسلامي

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

علم النفس
في التراث الإسلامي

الجزء الأول

د. إبراهيم شوقي عبد الحميد
د. أسامة سعد أبو سريع
د. الحسين محمد عبد المنعم
د. جمعة سيد يوسف
د. شعبان جاب الله رضوان
د. طريف شوقي محمد
د. عبد اللطيف محمد خليفة
د. عبد المنعم شحاته محمود
د. محمد أحمد شلبي
د. محمد نجيب الصبوة
د. معتز سيد عبد الله

إشراف وتقديم
أ. د. محمد عثمان نجاتي
أ. د. عبد الحليم محمود السيد

مكتبة
مؤمن قريش

علم النفس

في التراث الإسلامي

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى
لدار السلام
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

علم النفس في التراث الإسلامي / إبراهيم شوقي عبد الحميد ... [وآخ] ؛ إشراف وتقديم / محمد عثمان نجاتي ، عبد الحليم محمود السيد . ط١ . - القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ؛ المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ٢٠٠٨م .
٣ مج ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٥ ٦٥٠ ٣٤٢ ٩٧٧
١ - علم النفس الإسلامي .

٢١٠,١٩

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عمر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

علم النفس في التراث الإسلامي

الجزء الأول

د. إبراهيم شوقي عبد الحميد
د. أسامة سعد أبو سريع
د. الحسين محمد عبد المنعم
د. جمعة سيد يوسف
د. شعبان جاب الله رضوان
د. طريف شوقي محمد
د. عبد اللطيف محمد خليفة
د. عبد المنعم شحاته محمود
د. محمد أحمد شلبي
د. محمد نجيب الصبوة
د. معتز سيد عبد الله

إشراف وتقديم

أ. د. محمد عثمان نجاتي
أ. د. عبد الحليم محمود السيد

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
١٤٠١هـ - ١٩٨١م
1401AH—1981AC

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فهرس محتويات الجزء الأول

الموضوع[1] **الصفحة**

- **تصدير**.....١٣
- **تقديم: أ. د. محمد عثمان نجاتي**.....١٧
- **تقديم: أ. د. عبد الحليم محمود السيد**.....٢٥

علم النفس في التراث الإسلامي.....٢٩

- **ابن سيرين (ت١١٠هـ)**

تعبير الرؤيا ٣١

- **ابن المقفع (ت ١٤٢هـ)**
  - الأدب الصغير.....٤٠
  - كليلة ودمنة / الأدب الكبير.....٤٤
  - يتيمة السلطان.....٤٩
  - الدرة أو الأدب الكبير.....٥٢
  - رسالة في الصحابة.....٦٠
- **وكيع بن الجراح (ت١٩٨هـ)**
  - كتاب الزهد.....٦٢
- **أبو سعيد الهرثمي (ت٢٣٤هـ)**
  - مختصر سياسة الحروب.....٧٣
- **أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)**
  - كتاب الورع.....٨١

---

(١) رتبت الأسماء تبعًا لتاريخ الوفاة.

- **الحارث المحاسبي (ت٢٤٣هـ)**
  - الرعاية لحقوق الله.....٨٥
  - العقل وفهم القرآن.....٩٣
  - شرف العقل وماهيته.....٩٧
  - التوبة.....١٠١
  - المسائل في أعمال القلوب والجوارح.....١٠٦
  - الوصايا: النصائح، بدء من أناب إلى الله، فهم الصلاة، التوهم.....١١٣
  - القصد والرجوع إلى الله.....١١٧
  - التوهم.....١٢٤
  - آداب النفوس.....١٢٦
  - رسالة المسترشدين.....١٣١
- **الجاحظ (ت٢٥٥هـ)**
  - البيان والتبيين: الكتاب الثاني.....١٣٦
  - البخلاء.....١٥١
  - التاج في أخلاق الملوك.....١٥٨
  - الحيوان.....١٦٤
- **الكندي (ت٢٥٦هـ)**
  - رسائل الكندي.....١٩٥
- **ابن سحنون (ت٢٥٦هـ)**
  - رسالة آداب المعلمين.....٢٠٠
- **ابن أبي الربيع (ت٢٧٢هـ)**
  - سلوك المالك في تدبير الممالك.....٢٠٥
- **أبو سعيد الخراز (ت٢٧٧هـ)**
  - الطريق إلى الله، أو كتاب الصدق.....٢١١

- **ابن المدبر (ت٢٧٩هـ)**
  - الرسالة العذراء.....٢١٦
- **ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)**
  - كتاب الشكر.....٢٢٢
  - محاسبة النفس والإزراء عليها.....٢٢٦
  - الإخوان: المتحابون في الله، بشاشة الأخ لأخيه.....٢٢٩
  - مجموعة الرسائل.....٢٣٤
  - التواضع والخمول.....٢٤٠
  - مكارم الأخلاق.....٢٤٣
  - العقل وفضله.....٢٣٧
  - الصمت وآداب اللسان.....٢٥٠
- **أبو بكر الفريابي (ت٣٠١هـ)**
  - صفة النفاق وذم المنافقين.....٢٥٣
- **زكريا الرازي (ت٣١٣هـ)**
  - النفس والروح.....٢٥٨
  - من لا يحضره الطبيب.....٢٦٥
  - رسائل فلسفية مضافًا إليها قطع من كتبه المفقودة.....٢٦٩
- **أبو عبد الله الترمذي (ت٣٢٠هـ)**
  - رسالة مكر النفس.....٢٧٤
  - بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب.....٢٨٠
  - كتاب الرياضة وأدب النفس.....٢٨٥
- **أبو زيد البلخي (ت٣٢٢هـ)**
  - مصالح الأبدان والأنفس.....٢٩٠
- **أبو بكر الخرائطي (ت٣٢٧هـ)**
  - المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق.....٢٩٨

- **أبو النصر الفارابي (ت٣٣٩هـ)**
  - آراء أهل المدينة الفاضلة.....٣٠٤
  - كتاب تحصيل السعادة.....٣١٢
  - رسالة العقل.....٣١٧
  - التنبيه على سبيل السعادة.....٣٢٠
- **ابن الأعرابي (ت٣٤٠هـ)**
  - الزهد وصِفة الزاهدين.....٣٢٥
- **ابن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)**
  - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء.....٣٢٩
- أبو بكر **الآجري (ت٣٦٠هـ)**
  - أخلاق أهل القرآن.....٣٣٥
- **ابن عدي (ت٣٦٤هـ)**
  - تهذيب الأخلاق.....٣٤٢
- **أبو جعفر القيرواني (ت٣٦٩هـ)**
  - سياسة الصبيان وتدبيرهم.....٣٥٠
- **السمرقندي (ت٣٧٥هـ)**
  - قرة العيون ومفرح القلب المحزون.....٣٥٤
- **العامري النيسابوري (ت٣٨١هـ)**
  - الأمد على الأبد.....٣٥٨
- **التنوخي (ت٣٨٤هـ)**
  - الفرج بعد الشدة.....٣٦٤
- **أبو طالب المكي (ت٣٨٦هـ)**
  - قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد...٣٧١
- **أبو سليمان البستي (ت٣٨٨هـ)**
  - العزلة.....٣٨٥

- **إخوان الصفا (القرن الرابع)**
  - رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا.....٣٩٢
- **أبو حيان التوحيدي (ت٤٠٠هـ)**
  - المقابسات.....٣١٥
  - ثلاث رسائل.....٤٢٤
  - البصائر والذخائر.....٤٢٩
  - الصداقة والصديق.....٤٣٣
  - الإشارات الإلهية.....٤٣٩
  - الإمتاع والمؤانسة.....٤٤٢
- **القابسي (ت٤٠٣هـ)**
  - الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين.....٤٥٣
- **النيسابوري (ت٤٠٦هـ)**
  - عقلاء المجانين.....٤٦٠
- **القرطبي (ت٤٠٧هـ)**
  - الزهد.....٤٦٤
- **الكرماني (ت٤١١هـ)**
  - مجموعة رسائل الكرماني.....٤٧١
  - الأقوال الذهبية.....٤٧٨
  - راحة العقل.....٤٨٤
- **أبو عبد الرحمن السلمي (ت٤١٢هـ)**
  - طبقات الصوفية.....٤٨٨
- **ابن مسكويه (ت٤٢١هـ)**
  - الفوز الأصغر.....٤٩٤
  - السعادة في فلسفة الأخلاق.....٤٩٨
  - تهذيب الأخلاق المسمى "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق".....٥٠٢

- **ابن سينا (ت٤٢٨هـ)**

- كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعة الإلهية.....٥٠٨
- أحوال النفس.....٥١٤
- القانون في الطب.....٥٢٣
- الشفاء: الطبيعيات ٦–النفس.....٥٢٩
- النجاة: مختصر الشفاء.....٥٣٦
- الإشارات والتنبيهات.....٥٤٠
- رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها.....٥٤٦
- دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسان.....٥٤٩
- كتاب السياسة.....٥٥٢
- رسائل متفرقة.....٥٥٦

***

تصدير

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه، وبعد،

فمنذ أوائل القرن التاسع عشر وإلى يومنا هذا اكتشف الإنسان واخترع كمًّا هائلًا من المكتشفات والمخترعات التي غيرت تغييرًا جذريًا حياة الإنسان، ولم تجعله يعيش أمسه في يومه كما كان يفعل قبل ذلك، فنشأت بذلك أحوال جديدة وبيئة مختلفة ولدت أفكارًا وسلوكًا غير الذي كان، ووضعت الإنسان في بيئة يغلب فيها أن يسبق العملُ والنشاط الفكرَ والتأمل، وأثر هذا في العلاقات بين الأفراد وبين الأمم، وفي النفس البشرية وكيفية تعاملها مع الواقع وأحداث أزمات كثيرة في جوانب شتى، فاحتاج المسلم في هذه الحالة إلى أن يحدد طرق التعامل مع مصدري المعرفة عنده، وهما الوحي والوجود تحديدًا يجعله قادرًا على التفاعل مع عصره في إطار كلمة الله للعالمين التي تبين مراد الله من خلقه، وترسم المثال الذي ينبغي أن يصل إليه الإنسان.

وهذا إنما يتم بمجموعة عمليات فكرية ومعرفية، وأخرى بحثية وعلمية تستهدف إعادة تشكيل العقل المسلم، وتبني نسقًا فكريًا ونموذجًا معرفيًا يستفيد من نتاج الفكر البشري سواء قد صدر هذا النتاج من خلال التزام منهجي بالوحي خلال القرون المتتالية، وهو ما نسميه بالتراث الإسلامي، أم صدر من نتاج فكر بشري غير متلزم بهذا الوحي، بل يهتم اهتمامًا أساسيًا يكاد يكون وحيدًا بالواقع كالفكر الإنساني عامة، ونتاج الفكر الغربي على وجه الخصوص؛ خاصة ما يتعلق بالعلوم الاجتماعية والإنسانية. ومن هنا كان مشروع إسلامية المعرفة يحتاج إلى ممهدات يبين فيها الفكر المسلم موقفه من كيفية التعامل مع كتاب الله باعتباره "المطلق" الذي هو خارج الزمان والمكان والأشخاص، والذي هو كلمة الله للعالمين في كل زمان ومكان، وأن يحدد أيضًا كيفية التعامل مع صحيح السنة المشرفة باعتبارها التطبيق المعصوم لكلام الله المطلق في الواقع النسبي، ذلك التطبيق الذي أمرنا باتباعه، والذي نستنبط منه المنهج والطريق لإيقاع المطلق على "النسبي" في كل الأحوال، وأن يحدد أيضًا كيف يتعامل مع التراث الإسلامي، وكيف يتعامل مع التراث الإنساني بمناهج عادلة تتأبَّى الوقوع في الرفض المطلق لهذا النتاج أو ذلك، أو القبول المطلق كذلك، أو الانتقاء العشوائي؛ حيث تعد هذه المواقف ساذجة

وتؤدي إلى التقليد الأعمى أو إلى اتبـاع الهـدى، وينبغي عليه أيضًا أن يحدِّد النموذج المعرفي في إطاره الإسلامي، وأن يحدد المنهجية التي يستطيع بها التعـامل مع الأفكار، وتوليد العـلوم المختلفة لإدراك الـواقع. إن هذه المحاور الستة لازمة للبدء في إسلامية المعرفة باعتبارها عملًا فكريًا ومعرفيًا لا نهاية له، بل هو مستمر أبدًا.

وعلى محور كيفية التعامل مع التراث نجد أنفسنا في احتياج إلى أدوات يستطيع الباحث والمفكر بها أن يبدأ نشاطه في هذا المجال، فطبيعة التراث الإسلامي أنه واسع في مساحته الزمانية والمكانية، وفي مجاله ومدارسه، فلو اعتبرنا أن التراث هو النتاج البشري المنقول شفويًا وكتابيًا للأمة الإسلامية قبل مئة عام من الآن لوجدنا أنفسنا أمام تراث كبير في مساحته الزمانية يشمل أكثر من ثلاثة عشر قرنًا، ومساحة مكانية من الأندلس غربًا إلى الهند شرقًا، ومن شمال إفريقيا إلى جنوبها، ونجده متشعب الجوانب في فنونه المختلفة وعلومه المتعددة، وفي مدارسه ومذاهبه الكثيرة، بل وفي أنماط تفكير الناس، ونجده أيضًا ذا نموذج معرفي متميز نحاول أن نلتمس مفاتحه، وأن نضع أداة نستطيع بها أن نقرأ النص التراثي فنفهمه أولًا، ونناقشه ثانيًا، ونقبله أو نرفضه عن وعي واجتهاد ثالثًا، لا عن مجرد الرفض أو عن الجهل بمعناه، وذلك كله بعد أن نقوم بعملية توثيق للنص التراثي. كل هذا يكون مقدمة للتأمل فيه لاستنباط منهاجه، والتجاوز عن مسائله التي قد تكون زمانية مرتبطة بظرفها الذي نشأت فيه، أو أن نضيف إلى ما استنبطناه من مناهج أخرى، أو أن نطور تلك المناهج حتى نستفيد الفائدة المرجوة من التراث، ويكون دافعًا وباعثًا لمجموعة العمليات الفكرية والمعرفية المتعلقة بمجال معين.

ومن هنا ظهرت فكرة تكشيف التراث كخطوة أولي من خطوات الخدمة التي نتحدث عنها، ونعني:

١. **توثيق التراث.**
٢. **فهم التراث.**
٣. **حجية التراث.**
٤. **تواصل التراث.**

والتكشيف نعني به الدلالة عن مواطن الأفكار المختلفة المتعلقة بموضوع واحد، وكيـف انتقلت من مدرسـة إلى أخرى، أو من شخص إلى آخر، أو من نموذج معرفي إلى نمـوذج معـرفي مختلف عنـه، وهذه الخطـوة هي خطوة لبنـاء الأداء، وليست عملية

فكرية، ومن هنا فإن عمليات التكشيف ليست من عملياتِ إسلاميةِ المعرفة، بل من العمليات الأولية التي توفِّر الجهد، وتيسِّر المعلومة.

من خلال هذه النظرة قام المعهد العالمي للفكر الإسلامي بمكتب القاهرة بتكوين فريق علمي من أساتذة علم النفس والمختصين فيه لتكشيف ما في التراث الإسلامي من المفاهيم النفسية حتى يكون دليلًا للباحثين في هذا المجال، وثم تتبع أكثر من مئتي كتاب لاستخراج ما فيه من مفاهيم تتعلق بموضوعات علم النفس، وما يثار فيها لتبين الآراء المختلفة حول هذه الموضوعات وكيفية معالجتها. فالعلوم تتكون من مسائل هي عبارة عن جملة مفيدة، والجملة المفيدة هي عبارة عن مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل؛ بما يسميه البلاغيون: المسند إليه والمسند، فهناك ما نضعه موضوعًا نتكلم إليه، ونخبر عنه، وهو المبتدأ أو الفاعل، وهناك ما نخبر به وهو الخبر والفعل، والذي يجعلنا نسند الخبر إلى المبتدأ قد يكون هو الحس والمشاهدة مثل قولنا: السماء فوقنا، والأرض تحتنا. وقد يكون هو التجربة والتكرار مثل قولنا: النار محرقة، وقد يكون هو التفكر العقلي مثل قولنا: ١+١=٢، وقد يكون هو الوحي مثل قولنا: الصلاة واجبة، وقد يكون هو العرف الذي تعارف عليه الناس، وقد يكون هو اللغة، أو نقل اللغة مثل قولنا: الفاعل مرفوع. وفي كل هذا يمثل النموذج المعرفي والإطار الذي يحدِّد الباعث لإنشاء الجملة المفيدة، والذي جعل مصدر معرفته الوجود فقط؛ سينشئ جملًا مختلفة عن ذلك جعل مصدر المعرفة الوحيَ والوجود معًا. ومع وجود هذا الاختلاف فإن تلك الفقرات التي تم تكشفها من هذا العدد الكبير من الكتب سيختلف حتى ولو اتفقت ظاهريًا في نقاط تقاطع الدوائر المختلفة، فإن هذا الاتفاق لا يعدو أن يكون اتفاقًا في الصورة، حيث يختل النموذج المعرفي الإسلامي عن النموذج الغربي اختلافًا بينًا. ومن هنا فلا ينبغي أبدًا ركوب طريق المقاربات أو المقارنات، فالأول يحاول أن يجعل كل ما توصل إليه العلم الغربي مذكورًا في تراث المسلمين، بل وفي كتابهم وسنة نبيهم، والثاني يحاول أن يدعي الفرق دائمًا بينهما، وهي مناهج غير علمية، بل الذي ينبغي أن يكون إنما هو قضية التأصيل بأن يخبر العالم أو المفكر المسلم في جمله المفيدة بما يراه الحق في إطار مصادر معرفته التي آمن بها، وفي إطار نموذجه المعرفي.

وكان ينبغي أن يتم هذا المشروع على المطبوع والمخطوط معًا من التراث الإسلامي إلا أن ذلك قد تعذر لاحتياجه إلى إمكانيات ليست في طاقتنا، وإلى زمن وفرق عمل ليست في مقدورنا، فاكتفينا بالمطبوع، أو قل ما تيسر منه عملًا بقولهم: ما لا يدرك

كله لا يترك جله.

ولقد تمت طبعة تجريبية في مئة نسخة وزعت على المختصين والعلماء لإبداء الرأي فيما ورد فيها منهجًا وتفصيلًا؛ إلا أننا -بعد ست سنوات من تلك الطباعة التجريبية، ومع المتابعة- لم نتلق من هؤلاء المئة إلا ردين: أحدهما قاصر على المجلد الأول من المجلدات الثلاث، ولا يخفى ما في ذلك من دلالة تبين حالة الهمم في عصرنا الحاضر، وهذا ما دفعنا الآن إلى أن نخرج الكتاب على ما فيه ليستفاد منه حيث قوبلت طبعته التجريبية بترحاب كبير بين أوساط الباحثين والمثقفين.

ونأمل أن تكون هذه خطوة أولى في بناء الأدوات اللازمة لتيسير محور التراث، وكيفية التعامل معه؛ الذي هو واحد من ستة محاور يعدُّ النشاط فيها متعلقًا بعملية إسلامية المعرفة باعتبارها عملية معرفية دائمة ومستمرة.

ونسأل الله أن ينفع به، وأن يجازي من قاموا عليه خير الجزاء، والحمد لله في المبدأ والختام.

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

مكتب القاهرة

***

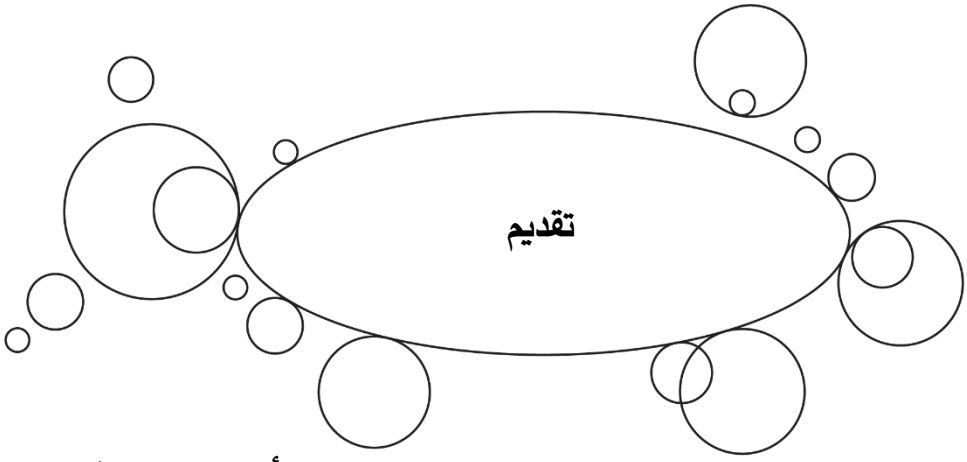

أ.د. محمد عثمان نجاتي

يلاحظ القارئ لكتب تاريخ علم النفس التي يؤلفها علماء النفس الغربيون أنهم يغفلون، عادة، الإشارة إلى إسهام العلماء المسلمين السابقين في تطور الدراسات النفسية وتقديمها، وما وصلوا إليه من آراء ونظريات جديدة في علم النفس، لم يسبقهم إليها أحد من العلماء قبلهم، وما أحدثوا من تأثير كبير في تفكير العلماء الأوربيين في العصور الوسطى، حيث كانت مؤلفات العلماء المسلمين تترجم إلى اللغة اللاتينية، وتدرس في الجامعات الأوربية، وتقوم بدور كبير في تشكيل تفكيرهم العلمي خلال عدة قرون طويلة امتدت حتى قبيل عصر النهضة الأوروبية الحديثة.

ومن الواضح أن إغفال مؤرخي علم النفس الغربيين الإشارة إلى إسهام علماء النفس المسلمين في تطور علم النفس وتقدمه إنما يرجع إلى جهلهم بتراث المسلمين العلمي، وبما يحتوي عليه من دراسات نفسية هامة. ولعل مسؤولية ذلك إنما ترجع إلى عدم اهتمامنا نحن –علماء النفس المسلمين المحدثين– بدراسة تراثنا العلمي، ونشر المباحث حوله، والتعريف به.

ولقد قام بعض الباحثين المسلمين المحدثين في السنوات الأخيرة ببعض المباحث حول بعض الدراسات النفسية للعلماء المسلمين السابقين، توضح آراءهم في بعض الموضوعات النفسية؛ غير أن هذه المباحث لا زالت قليلة العدد، ولا زال كثير من الآراء النفسية للعلماء المسلمين السابقين غير معروف لمعظم علماء النفس المسلمين المحدثين، مما يشكِّل

فجوة كبيرة في معلوماتنا حول سير تطور الدراسات النفسية عبر عصور التاريخ المختلفة. ونحن نشعر إزاء هذا الأمر بشيء من الالتزام بضرورة الاهتمام بدراسة تراثنا في علم النفس دراسة جادة تهدف إلى إبراز الدور الهام الذي قام به علماء النفس المسلمون السابقون في تطور علم النفس وتقدمه، وتوضيح القيمة العلمية الكبيرة لما قدموا من آراء حول بعض موضوعات علم النفس.

ولعله من المفيد هنا أن نذكر بعض الأمثلة لبعض آرائهم التي سبقوا بها علماء النفس المحدثين بعدة قرون؛ فابن سينا، مثلًا، قد اكتشف طبيعة عملية الإشراط Conditioning منذ حوالى عشرة قرون قبل إيفان بافلوف الفسيولوجي الروسي المشهور الـذي يعتبره مؤرخو العلـوم أنه أول من اكتشف ظـاهرة الإشـراط التي كانت لها أهمية كبيــرة في عـلم النفس الحديث، وعلم الفسيـولوجيا. وقد توصــل ابن سينـا إلى اكتشافه لطبيعة عملية الإشراط عن طريق الملاحظة الدقيقة لسلوك الحيوان والإنسان، والتفكير بذكاء في محاولة تفسير نتائج ملاحظاته دون أن يقوم بتجارب معملية مثلما فعل بافلوف فيما بعد. لقد لاحظ ابن سينا أن بعض المدركات الحسية تقترن ببعض الاستجابات عند الحيوان والإنسان. فمثلًا: "إذا كان تناول الطعام مقترنًا باللذة، والضرب بالعصا مقترنًا بالألم، فإن الحيوان والإنسان يحتفظان في ذاكرتهما بصورة الطعام مقترنة باللذة، وبصورة العصا مقترنة بالألم، فتصبح رؤية الطعام فيما بعد مثيرة للشعور باللذة، كما تصبح رؤية العصا مثيرة للشعور بالألم؛ ولذلك تخاف الطلاب العصا وتتجنبها إذا رأتها. وهذه هي الاستجابة الشرطية التي قال بها بافلوف فيما بعد، والتي تبناها بعض علماء النفس المحدثين كإحدى طرق التعلم الهامة... ويرى ابن سينا أن أغلب أفعال الحيوان والإنسان تقوم على هذا الأساس، أي تقوم على أساس الاستجابات الشرطية المتعلمة من الخبرات والتجارب التي مر بها الحيوان والإنسان من قبل. وقد سبق ابن سينا في ذلك علماء النفس المحدثين من المدرسة السلوكية التي تفسر سلوك الحيوان والإنسان على أساس تعلم أنواع معينة من الارتباطات بين بعض المنبِّهات (أو المثيرات) وبعض الاستجابات"[١].

وفيما يلي مثال آخر: لقد كان علماء النفس المحدثون يفسرون النسيان بأنه راجع إلى زوال الآثــار التي يتركها التعلم الســابق نتيجة عدم الاستعمــال. واستمر هـذا التفسير شائعًا

(١) محمد عثمان نجاتي: الإدراك الحسي عند ابن سينا، مبحث في علم النفس عند العرب، الطبعة الثالثة. القاهرة: دار الشروق، (١٩٨٠م)، (ص١٧٧، ١٧٨).

بين علماء النفس المحدثين مدة طويلة من الزمن حتى قام جينكنز Jenkins ودولنباخ Dallenbach في عام (١٩٢٤م) بدراسة تجريبية[١] بينت أن النسيان لا يحدث بسب مجرد مضي الزمن دون استعمال المعلومات، وإنما يحدث بسبب كثرة نشاط الإنسان وانشغاله بأمور كثيرة تؤدي إلى تداخل معلوماته الجديدة وتعارضها مع معلوماته السابقة. وسميت هذه الظاهرة بالتداخل الرجعي Retroactive Interference أو الكف الرجعي Retroactive Inhibition. وقد بينت بعض الدراسات التجريبية الحديثة الأخرى أن النسيان قد يحدث أيضًا نتيجة تداخل المعلومات السابقة مع المعلومات الحديثة، وسميت هذه الظاهرة بالتداخل اللاحق Proactive Interference.

والقارئ لكلام ابن سينا عن التذكر في كتاب الشفاء يلاحظ أنه سبق علماء النفس المحدثين بعشرة قرون في تفسيره للنسيان على أساس تداخل المعلومات. يقول ابن سينا في هذا الصدد: "... وأكثر من يكون حافظًا هو الذي لا تكثر حركاته. ولا تتفنن همه، ومن كان كثير الحركات لم يذكر جيدًا... ولذلك كان الصبيان مع رطوبتهم يحفظون جيدًا، لأن نفوسهم غير مشغولة بما تشغل به نفوس البالغين، فلا تذهل عما هي مقبلة عليه بغيره"[٢].

وقد وصل كل من الفارابي وابن سينا في دراستهما للأحلام إلى آراء لا زالت صحيحة حتى الآن. فقد ذكر كل منهما أن بعض الأحلام تحدث نتيجة لتأثير بعض المؤثرات الحسية التي تقع على النائم سواء كانت هذه المؤثرات الحسية صادرة من الخارج أم من داخل البدن[٣]. وقد أشارا كذلك إلى دور الأحلام في إشباع الدوافع والرغبات، وهي الفكرة التي اهتم بها سيجمند فرويد والمحللون النفسيون فيما بعد في تحليلهم للأحلام وتفسيرها[٤].

ويلاحظ كذلك أن الغزالي في أثناء تناوله لموضوع "رياضة النفوس" في الجزء الثالث من كتاب "إحياء علوم الدين"، قد استخدم في علاج الأخلاق والعادات السيئة أساليب

---

(1) Jenkins, J. G. and Dallenbach, K. M. Obliviscence During Sleep and Waking American Journal of Psychology, 1924. Vol. 35. PP. 605-612.

(٢) ابن سينا: الشفاء: كتاب النفس. تحقيق الأب جورج قنواتي وسعيد زايد، ومراجعة د. إبراهيم بيومي مدكور. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٥م)، (ص١٦٥، ١٦٦)، انظر أيضًا: محمد عثمان نجاتي: المرجع السابق، (ص١٩١، ١٩٢).

(٣) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، (ط٢)، القاهرة: مكتبة الحسين التجارية، (١٩٤٨م)، (ص٧٣-٧٦)؛ ابن سينا: المرجع السابق، (ص١٥٩، ١٦٠).

(٤) الفارابي: المرجع السابق، ابن سينا: المرجع السابق.

مبتكرة تقوم أساسًا على فكرة التخلص من الأخلاق والعادات السيئة بتعليم الفرد أخلاقًا وعادات حسنة مضادة لها، تحل محلها بالتدريج حتى ينتهي الأمر إلى التخلص النهائي من الأخلاق والعادات السيئة، واكتساب الأخلاق والعادات الحسنة المضادة(١). وقد سبق الغزالي بهذا الأسلوب في العلاج علماء النفس والمعالجين النفسيين السلوكيين المحدثين الذين يستخدمون هذا الأسلوب في التخلص من العادات السيئة وفي علاج القلق.

إن معرفتنا لتراثنا العلمي في ميدان علم النفس لا تفيدنا فقط في اكتساب الإسهامات الهامة التي قام بها العلماء المسلمون السابقون، والتي ذكرنا أمثلة لها سابقًا، وإنما تفيدنا كذلك في مدنا بنموذج لتناول بعض موضوعات علم النفس من وجهة نظر إســلامية، مما يمكن الباحثين المعاصرين من أن يحذوا حذوهم في التوجه الإسلامي للدراسات الحديثة في علم النفس. وسوف أذكر، مثالًا لذلك، تناول العلماء المسلمين السابقين لموضوع الصحة النفسية. فهم لا يرون –مثل علماء النفس الغربيين المحدثين– أن أهم مقومات الصحة النفسية هي فقط النجاح في حياة الإنسان المادية والدنيوية، وقدرته على تحمل مسؤوليات الحياة، ومواجهة ما يقابله من مشكلات، وتوافقه مع نفسه ومع غيره من الناس، وإنما هم يرون أن أهم مقومات الصحة النفسية توافق الفرد مع ربه، والتمسك بعبادته وتقواه، الأمر الذي يغفله علماء النفس الغربيون المحدثون إغفالًا تامًا؛ فنجد مثلًا أن ابن حزم قد تناول هذا الموضوع في كتابه "الأخلاق والسير في مداواة النفوس"(٢)، وبين في شيء من التفصيل أن الإيمان بالله تعالى، واتباع منهجه الذي رسمه للإنسان في القرآن الكريم وبينته سنة الرسول ﷺ هو السبيل الوحيد للتخلص من الهم والقلق، والتمتع بالصحة النفسية والشعور بالسعادة والأمان النفسي.

وقد أكد هذا المعنى أيضًا ابن تيمية في كلامه عن "أمراض القلوب وشفائها"(٣)، وبين أن الإيمان بالله تعالى، والتمسك بعبادته وتقواه، واتباع المنهج الذي رسمه الله تعالى للإنسان في القرآن الكريم، هو سبيل الشفاء من أمراض القلوب.

---

(١) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين. الجزء الثالث. بيروت: دار المعرفة (د.ب)، (ص٤٨–٢٧٤).

(٢) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب: الأخلاق والسير في مداواة النفوس. بيروت: دار الآفاق الجديدة، (١٩٧٩م)، (ص١٥، ١٦).

(٣) أحمد بن تيمية: أمراض القلوب وشفاؤها. المجلد العاشر من مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. السعودية: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، (د.ت)، (ص٩١–١١٠).

وقد تناول ابن قيم الجوزية هذا الموضوع أيضًا في شيء من التفصيل في كتاب "رسالة في أمراض القلوب"، وأكد فيه آراء أستاذه أحمد بن تيمية في أهمية الإيمان بالله تعالى، والتمسك بعبادته وتقواه، في شفاء أمراض القلوب(١).

وقد بدأ بعض علماء النفس الغربيين المحدثين يدركون أخيرًا أهمية الإيمان بالله تعالى في صحة الإنسان النفسية، إذ إنه يمده بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة، وتساعده على التخلص من القلق والمرض النفسي. وقد أشرت إلى ذلك في شيء من التفصيل في موضع آخر(٢).

ومن الأمثلة الأخرى في هذا الصدد كان –أيضًا– تناول العلماء المسلمين السابقين لموضوع الرؤيا الصادقة أو الصالحة، إذ استمدوا معلوماتهم عنها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. فقد ذكر القرآن الكريم رؤيا إبراهيم عليه السلام: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ۝ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ۝ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الصافات:١٠٢-١٠٥]، ورؤيا يوسف عليه السلام: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ [يوسف:٤]، ورؤيا الرسول ﷺ أنه والمؤمنين يدخلون محلقين ومقصرين: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح:٢٧]، ورؤيا ملك مصر عن البقرات السبع السمان التي يأكلن سبع بقرات عجاف، والسنابل السبع الخضر والسنابل السبع اليابسات: ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾ [يوسف:٤٧-٤٩]. وقد أشار الرسول ﷺ أيضًا في أحاديث كثيرة عن الرؤيا الصادقة وقال: إنها بشرى من الله تعالى(٣).

---

(١) ابن قيم الجوزية: رسالة في أمراض القلوب. تحقيق محمد حامد الفقي. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، (١٤٠٣هـ).

(٢) محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، (ط٣)، القاهرة: دار الشروق (١٩٨٧م)، (ص٢٤٧، ٢٤٨).

(٣) انظر بعض الأحاديث النبوية التي تناولت الرؤيا الصادقة في: منصور علي ناصف: التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ، القاهرة: دار الفكر، (١٩٥٧م)، (٣٠٤/٤)؛ ومصطفى سعيد الخن وآخرون: نزهة المتقين، شرح رياض الصالحين للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى النووي، (ط٧)، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٩٨٥م)، (٦٥٥/١).

وقد أخذ العلماء المسلمون السابقون من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف آراءهم عن الرؤيا الصادقة الصالحة عندما تناولوا موضوع الأحلام والرؤى وتفسيرها، وهو أمر يغفله علماء النفس الغربيون المحدثون إغفالًا تامًا في دراستهم لموضوع الأحلام.

وفضلًا عن ذلك، فإن العلماء المسلمين السابقين حينما يتعرضون لتفسير رموز الأحــلام؛ فــإنهم يستمدون مــادة تفسيرهم مما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشــريف من أمثال وتشبيهات[١]. يتضح لنا مما ذكرناه سابقًا أهمية معرفة تراثنا في مجال الدراسات النفسية. ومما يؤسف له أن الغالبية العظمى من علماء النفس المعاصرين في العالم العربي والإسلامي، يجهلون هذه الدراسات، بسبب نوع التعليم السائد في أقسام علم النفس في الجامعات الحديثة في البلاد العربية والإسلامية، حيث يهمل هذا التعليم المعرفة بالتراث إهمالًا تامًا. ولقد قام المعهد العالمي للفكر الإسلامي الذي يعنى بموضوع إسلامية المعرفة، بمجهود مشكور من أجل التعريف بتراثنا الزاخر بكثير من الدراسات النفسية الهامة. فقام بتكليف مجموعة من السادة الأساتذة بحصر ما في التراث من كتب ودراسات تتعلق بالنفس الإنسانية، ثم قامت مجموعة أخرى من السادة الأساتذة الباحثين بقراءة هذه الكتب والدراسات، وتلخيص ما جاء فيها من آراء ومفاهيم نفسية. وقد قام مكتب القاهرة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بمجهود كبير مشكور في إنجاز هذا العمل الهام والإشراف على تنظيم وتبويب تقارير التعريف بكتب التراث، وقام بنشرها في هذا المجلد القيم لتكون تحت يد الباحثين من علماء النفس المحدثين الذين يريدون الرجوع إلى التراث لمعرفة ما جاء فيه حول بعض موضوعات علم النفس. ولا يسعني أمام إنجاز هذا العمل الضخم الهام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل من ساهم في إنجازه، وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور طه جابر العلواني رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، والأستاذ الدكتور جمال عطية رئيس مكتب القاهرة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وجميع السادة الأساتذة الأفاضل الذين قاموا بقراءة كتب التراث، وتلخيص ما جاء فيها من آراء ومفاهيم نفسية في هذه التقارير التي يتضمنها هذا المجلد. كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير أيضًا لجميع السادة الأساتذة الأفاضل من المشرفين والإداريين الذين ساهموا في إنجاز هذا العمل الكبير.

---

(١) محمد بن سيرين: كتاب تفسير الأحلام الكبير، القاهرة: مطبعة محمد صبيح وأولاده، (١٩٦٣م)، (ص٤-١٩).

ولا شك في أن هذا العمل سوف يكون مفيدًا لعلماء النفس العرب المعاصرين الذين ليس لديهم إلمامٌ كافٍ بكتب التراث؛ حيث إنه سيرشدهم إلى أهم الكتب التي يمكن الرجوع إليها لدراسة ما ورد في التراث حول الموضوعات العلمية التي يدرسونها. وسوف يكون هذا العمل مفيدًا أيضًا لمن يهتم بإعادة كتابة تاريخ علم النفس؛ بحيث يبرز دور العلماء المسلمين السابقين في تطور دراسات علم النفس وتقدمها، كما أنه سيكون مفيدًا للباحثين الذين يهتمون بالتوجه الإسلامي لعلم النفس.

والله ولي التوفيق.

***

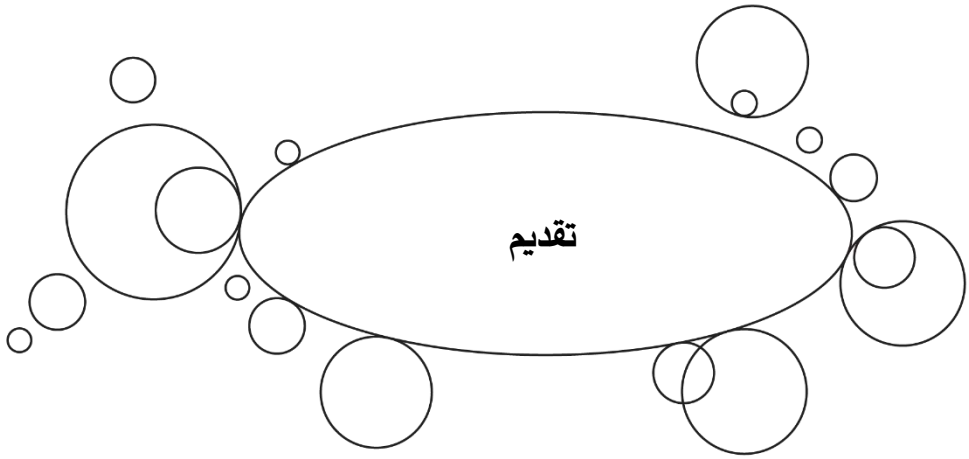

أ.د. عبد الحليم محمود السيد

يسعدني أن أقدم هذا العمل العلمي الضخم الذي أنجزه عدد كبير من الباحثين المحققين تحت الرعاية المادية والأدبية والفنية للمعهد العالمي للفكر الإسلامي؛ إلى الباحثين المهتمين بالدراسات النفسية الحديثة.

ويخدم هذا الدليل، الذي بين أيدينا، المهتمين بالثقافة العربية الإسلامية بوجه عام، والباحثين في مجال الدراسات النفسية بوجه خاص.

ويتضمن هذا العمل تلخيصًا لموضوعات الاهتمام التي وردت في حوالي ثلاثمئة كتاب ومقال من أمهات التراث العربي والإسلامي، مما أسهم في إنجاز ١١٤ مفكرًا إسلاميًا على امتداد العصور.

وتمتد الفترة التاريخية التي تنتمي إليها هذه الكتب والمقالات من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر من الهجرة، كما يمتد اهتمام الموضوعات التي تتناولها هذه المؤلفات التي تم عرضها وتلخيصها، على مساحة عريضة من الموضوعات التي تشتمل على مختلف جوانب الثقافة العربية الإسلامية، من الآداب والفنون، والفلسفة والتصوف، والأخلاق، والفقه... إلخ. حيث كانت موضوعات علم النفس تتداخل مع هذه المجالات.

وتبرز قيمة هذا العمل بالنسبة للمشتغلين بعلم النفس، على مستوى العالم العربي والإسلامي المعاصر، في كل من:

١- الإلمام في سفر واحد -يضم ثلاثة مجلدات، وفهارسها- بمضمون الموضوعات

ذات الطابع النفسي التي وردت في الكتب والمقالات المنشورة والمخطوطة في التراث العربي، التي تمتد تاريخيًا عبر قرون، وموضوعيًا عبر عدد كبير من موضوعات الاهتمام، وهو أمر لم يكن متاحًا قبل الآن.

٢- يلخص هذا الدليل الذي بين أيدينا أغلب مصادر التراث العربي والإسلامي المتاحة، مع عناية خاصة بالمضمون النفسي من خلال قراءة متأنية قام بها باحثون نفسيون حاولوا خلالها إبراز:

أ. أهم موضوعات الاهتمام العام والخاص في هذه المصادر.

ب. أهم المفاهيم ذات الطابع النفسي، كما وردت في التراث، مما يزودنا بالمفاهيم التراثية المتصلة بموضوعات علم النفس.

ج. أهم مفاهيم علم النفس الحديث، أو موضوعات اهتمامه التي تتصل بها موضوعات التناول في كل كتاب أو مصدر من مصادر التراث.

٣- يمكِّن فهرسُ الموضوعات والمفاهيم، الذي أُعِدَّ لهذا العمل، الباحثين المحدثين من حصر مواضع الفصول والفقرات والمفاهيم التي يحتاجون إلى الرجوع إليها (ملخصة أو في مصادرها الأصلية إن أمكن).

وهذا يعني تيسير عملية التكشيف التراثي للمصطلحات النفسية في مختلف فروع الاهتمام في علم النفس. ولم يكن هذا الأمر ميسرًا قبل إعداد هذا الدليل، حيث كان مجرد حصر ما يتضمنه التراث العربي والإسلامي من موضوعات ومفاهيم ذات طابع نفسي؛ يعد أمرًا شديد الصعوبة، لاعتماد معظم التصنيفات على مجرد الصدفة، أو جمع المتوفر من المراجع، أو الرجوع إلى أكثر المراجع شهرة، دون الإحاطة بهذا التراث؛ لأن الإحاطة بمضمون ومفاهيم الكتب التراثية -رغم حيويتها- تخرج عن وسع الباحثين الأفراد، وهذا العمل خطوة بارزة في هذا الطريق. (انظر: أهم عقبات الإحاطة بكتب التراث في محاولة تكشيف مصطلحات علم النفس النمو والارتقاء لغويًا وتراثيًا، التي قامت تحت رعاية المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٨٩م).

٤- علم النفس بوصفه علمًا ناميًا ومتجددًا، في حاجة شديدة إلى التكشيف التراثي عن المصطلحات النفسية؛ لأن من شأن هذا التكشيف أن يسدي خدمة عظيمة للمشتغلين بعلم النفس في البلاد العربية، ويساعد على حل مشكلات المصطلح في علم النفس المعاصر، التي قد تبدو في عدة أشكال منها:

أ- استخدام أكثر من كلمة عربية -من مؤلفين مختلفين- للإشارة إلى مصطلح أجنبي واحد، دون التنبه لاختلاف ظلال المعنى بين كل منها، كما ورد في التراث.

ب-تداخل معاني بعض المصطلحات، والحاجة إلى استخدام المصطلح الواحد بمعنى واحد، أو تمييز الفروق الدقيقة في معاني بعض المصطلحات.

ج-صعوبة التوصل لمقابل عربي للمصطلح الأجنبي، مع إمكان التوصل لهذا المقابل، بل ودرجات منه، عند الرجوع إلى التراث.

د- اكتشاف مفاهيم التراث التي لم ترد في المراجع الأجنبية، مما يثري وسائل التعبير العلمي عن الظواهر النفسية في اللغة العربية.

٥- من شأن تمكين الباحثين العرب المحدثين من الإحاطة بموضوعات التراث العربي والإسلامي؛ أن يشجع على تنمية اهتمام الباحثين المعاصرين بموضوعات للبحث، نابعة من صميم الثقافة العربية الإسلامية، في تفاعلها مع موضوعات الاهتمام الحديثة من ناحية، ومحاولة إخضاعها لأساليب ومناهج حديثة من ناحية أخرى، مما يجعل الباحث العربي يواصل طريق العلم، من خلال الجمع بين التراث العربي -الذي يجهله الغرب- والتراث الغربي والعالمي الحديث، كخطوة لتنمية هوية عربية في علم النفس المعاصر.

٦- لهذا الدليل أهمية خاصة، بالنسبة لعملية التأريخ لعلم النفس، إذ إنه يساعد على ملء ثغرة كبيرة، افتقدها التاريخ الموضوعي لعلم النفس على مستوى العالم، حيث كان المؤرخون الغربيون يتجاهلون أو يجهلون -غالبًا- الإسهام العلمي للعلماء والمفكرين العرب والمسلمين في مجال الدراسات النفسية، فهم يبدؤون التاريخ باليونان، ثم العصور الوسطى المسيحية، ثم عصر النهضة الأوروبية، ثم يؤرخون للفكر النفسي في العصر الحديث مع عدم ذكر إسهام المفكرين والعلماء العرب والمسلمين، رغم ما كان لهم من فضل في تنمية وتطوير موضوعات الاهتمام والدراسة النفسية.

٧- كما يمكن لهذا الدليل أن يسهم إسهامًا فعالًا في تتبع الباحثين لنمو الاهتمام ببعض الموضوعات أو نمو بعض المصطلحات؛ مما يسد ثغرة في كل البحوث والدراسات، وخاصة رسائل الماجستير والدكتوراه التي يقتصر أصحابها في التأريخ لموضوعاتها ومفاهيمها على الاعتماد على المصادر الغربية، مما يفقد معظم البحوث صلتها بالتراث العربي، ويقلل من إمكان تنمية هذا التراث.

ولا يسعني إلا أن أقدم التحية والتقدير للمعهد العالمي للفكر الإسلامي والسادة الباحثين المحققين الذين قاموا بإنجاز هذا الدليل تلخيصًا لأعماله وفهرسة لها، مما جعل التراث ميسرًا للمثقفين عامة، وللباحثين النفسيين خاصة.

ونأمل أن يضاف في الطبعات التالية المزيد من الكتب والمقالات التراثية المرتبطة بعلم النفس، من المطبوعات أو المخطوطات التي لم يتيسر جمعها في هذا السفر، بحيث يصبح أكثر تمثيلًا للتراث النفسي العربي الإسلامي.

كما نأمل أن نرى مثل هذا العمل في تلخيص قراءات للتراث المتصل بكل من: الفلسفة، وعلم الاجتماع، والتربية والاقتصاد، والتشريع، والفقه... مما يمكن الباحثين من الإحاطة بالجوانب الأساسية للثقافة الإسلامية تيسيرًا للباحثين المحققين، ووصلًا لحلقات الثقافة الإسلامية على امتداد العصور، بجوانب الاهتمام العلمي الجاد لدى العلماء والمفكرين المعاصرين.

***

علم النفس

في التراث الإسلامي

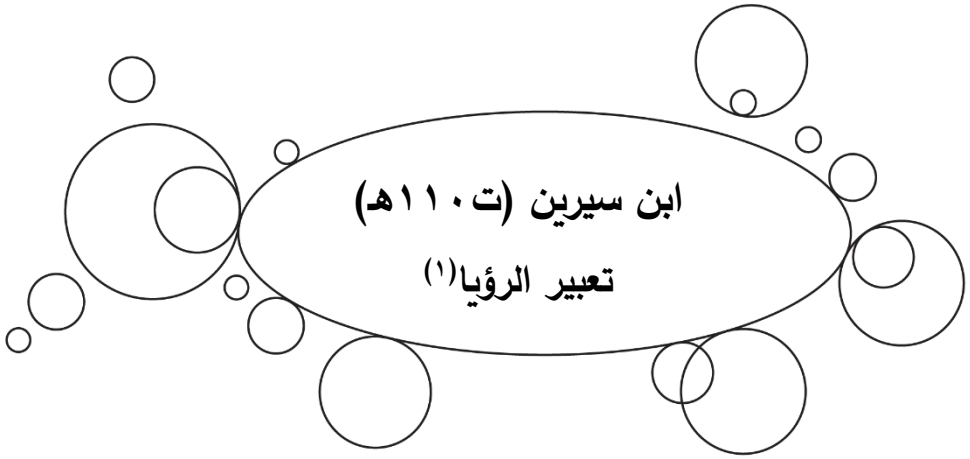

عرض: د. محمد نجيب الصبوة

التعريف بالمؤلف[٢]:

محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر؛ إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي من أشراف الكتاب. مولده ووفاته بالبصرة. نشأ بزازًا، في أذنه صمم. وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، واستكتبه أنس بن مالك بفارس. وكان أبوه مولى لأنس بن مالك. ينسب له كتاب "تعبير الرؤيا– ط"، ذكره ابن النديم ، وهو غير "منتخب الكلام في تفسير الأحلام" المطبوع، المنسوب إليه أيضًا، وليس له.

مصدر الترجمة: خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، (١٩٨٦م).

عرض الكتاب:

هذا الكتاب تعبير الرؤيا، لابن سيرين، من القطع الصغير، ويقع في أربع وستين صفحة، ومكتوب على مسافة واحد بين كل سطرين، وهو مطبوع وليس مخطوطًا. وكشأن كل الكتب، هناك اختلاف وتباين واضح في عدد الصفحات التي يستغرقها تفسير الرؤيا في كل باب من أبوابه الخمسة والعشرين. وهذا أمر مشروع تقتضيه الضرورة العلمية، وتقتضيه طبيعة الموضوعات التي يتم التعرض لها.

---

(١) القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح (د.ت)، (٦٤ص).

(٢) مصدر الترجمة: خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، (١٩٨٦م).

وكعــادة كل كتب التراث التي كتبــها مؤلفون مسلمون، بدأ الكتــاب بابه الأول بخطــبة تبين أهمية الموضــوع وحدوده، والمعــايير التي سيلتزم بها المؤلف عند تعرضه لتعبير الرؤى. والغالب على هذا الكتاب أنه لا يشتمل على كثير من المفاهيم التي يمكن معاملتها من المنظور السيكولوجي، اللهم إلا الحديث عن تفسير الأحلام من المنظور الفرويدي. ولكن شتان بين ما ورد لدى سيجموند فرويد. وربما ألجأنا ذلك إلى عرض وتلخيص الكتاب كله أولًا، ثم يلي ذلك التحدث عن المفاهيم السيكولوجية، على غير عادتنا في عرض الكتب الأخرى، لإتاحة الفرصة للقارئ إذا أراد أن يعقد مقارنة بين تعبير ابن سرين للرؤيا وتفسير فرويد لأحلام.

وفيما يلي عرض مختصر لأبواب الكتاب الخمسة والعشرين:

الباب الأول، استغرق هذا الباب الصفحات (من ص٣ إلى ص٦)، وجاء بعنوان: في آداب المعبر وتمييز الرؤيا ومعرفة أصولها. وتحدث فيه المؤلف عن الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الشخص الذي يقوم بتأويل أو تعبير الرؤيا، فقال: إنه لابد أن يكون حافظًا وعالمًا بكتاب الله، حافظًا لحديث رسول الله ﷺ، خبيرًا بلسان العرب، واشتقاق الألفاظ، عارفًا بهيئات الناس، ضابطًا لأصول التعبير، عفيف اللسان، طاهر الأخلاق، صادق اللسان.

أما الرؤيا ومعرفة أصولها، فهي تختلف، من وجهة نظر ابن سيرين، باختلاف أحوال الأزمنة والأوقات، وقد يتم التعبير عنها من كتاب الله، أو من أحاديث رسول الله ﷺ، أو من الأمثال السائرة الشائعة بين الناس الآن أو قديمًا، أو من لفظ الاسم، أو من معناه، أو من ضده، أو من اشتقاقه، أو من الزيادة فيه أو من نقصانه، وضرب لكل مصدر من هذه المصادر أمثلة عديدة توضح كيفية التأويل انطلاقًا منها.

وذكر المؤلف أن أصدق أوقات الرؤيا أواخر الليل، أو في القيلولة، أو عند إدراك الثمرة وبيعها، وأضعف الرؤيا ما وقع منها في زمان الشتاء ومجيء المطر.

أما الباب الثاني، فقد جاء بعنوان: في تأويل رؤية الله تبارك وتعالى. وفيه يعرض المؤلف لحال الشخص الذي يرى الله في المنام، حيث تختلف هذه الأحوال باختلاف حال الرؤيا. وحاول المؤلف أن يضع وصفًا لأحوال الرائي أو صاحب الرؤيا، وهي من قبيل الحديث عن حال القبول بالبشرى والسرور والإقبال على الله (ص٦، ٧).

وفي الباب الثالث الذي جــاء بعنوان: في رؤية الملائكة والأنبيــاء والصالحين والعـلماء

والكعبة والأذان والصلاة والحج (ص٧-٩)، تحدث المؤلف هنا أيضًا عن كيفية تأويل رؤيا الملائكة والأنبياء والصالحين والعلماء والكعبة والأذان والصلاة والحج، فقال -مثلًا- : من رأى ملكًا من الملائكة فإنه ينال شرفًا في دنياه، وفرحًا ونصرًا لأهل تلك البلد، ورؤية أشرف الملائكة تدل على البشارة بالخير والشهادة والخصب وكثرة الأمطار وسعة الأرزاق ورخص الأسعار. ومن رأى النبي ﷺ (ص٧) في منامه فإنه بشارة بالخير. أما رؤية باقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في النوم فإنهم مثل الملائكة في حالتهم من كثرة الخصب والأمطار ورخص الأسعار. ورؤية الكعبة تعني أن الرائي إمام المسلمين، أو نوع من الأمن والأمان له ولأهل بلدته. وعلى هذا النحو وردت تعبيرات عديدة لرؤية القبلة والصلاة فيها، وكذلك الأذان في وقت أشهر الحج.

وفي الباب الرابع (ص٩-١٣)، تحدث المؤلف عن تأويل الرؤى الخاصة بالسماء والشمس والقمر والنجوم والقيامة والجنة والنار، وغير ذلك من نيران الدنيا. فصعود السماء رمز يدل على الشهادة والكرامة، وجواز الصراط والشمس رمز للملك والسلطان. أما القمر فهو رمز لوزير الملك أو زوجة أو ولد حسن. أما النجوم فهي تأويل لشرف الناس أو أشرافهم أو رمز للعلم والعلماء، وأما النار فهي رمز لكل الشرور والآثام والمصائب والرزايا والمنايا وكل ما لا ينتفع به، علمًا بأن البرد فقر، والحر غنم، ولكن الحر غير النار.

وتحدث المؤلف في الباب الخامس (ص١٣-١٧) عن تأويل رؤيا الأمطار والرعد والبرق ومياه الآبار والبحار والسواقي والأنهار والسفن والطواحين والحمامات والرياح وغيرها. فعنده: المطر غيث ورحمة. أما الرعد مع الريح فسلطان جائر، والبرق للمسافر خوف وللمقيم طمع، والسحاب حكمة وعلم ورحمة وهو دين الإسلام. أما البرد والثلج والجليد فهو غم وعذاب. أما البئر فهي رأس مال الإنسان ومعيشته.. أما النهر فهو وجل على قدر حال النهر من الصغر والكبير. أمام الحمام فهو رمز للغم والهم بقدر شدة الحرارة وقوتها. والرحى رمز للدنيا وهمومها وللعيشة والرزق. أما الرياح فهي رمز للبشرى إن كانت طيبة، ورمز للغم إن كانت مظلمة سوداء.

وفي الباب السادس الذي كان بعنوان: في رؤية الأرض والجبال والمفاوز والتلال والأبنية والحصون والحوانيت والدور والهدم والزلزال وما شابه ذلك (ص١٧-٢٠): يرى المؤلف أن الأرض تنصرف إلى المرأة إذا كانت حدودها مدركة، وكذلك المفازة التي تدل على الهداية والخير، وترمز الجبال إلى الرجال. وترمز الدار إلى الآخرة إن كانت

غير واضحة العالم. هذا على سبيل المثال لا الحصر.

أما الباب السابع (ص٢٠-٢٢) فقد تحدث فيه المؤلف عن تعبير رؤية الأشجار والثمـار والحبوب والزروع والخضرة والبقول والبسـاتين. فالأشجـار ترمز للرجـال الذين تكـون أحـوالهم على أحـوال جوهر هذه الأشجـار. أما الرمـان في وقته فيرمز للمال المجموع. والتفاح يرمز لرؤيا صفة الرجل وهمته ومكسبه. أما الزرع فهو عمدة الإنسان في دينه ودنياه إذا كان له... أما الرياحين فهي الدنيا حين تقبل على المرء، والبستان امرأة جميلة يتزوجها الرائي، والعكس بالعكس...

دار الحديث في الباب الثامن (ص٢٢، ٢٣) حول تأويل رؤيا الأشربة والألبان، فاللبن عمومًا يشير إلى فطرة الإسلام وسنة النبي ﷺ، وإن كان حامضًا أشار إلى الغم والهم والضرر والحزن. أما الخمر فيشير إلى المال الحرام، والنبيذ مال مكروه. أما العسل والشهد فهو مال وزرق طيب وشفاء من الأمراض.

ودار الحديث في الباب التاسع (من ص٢٣ إلى ص٣٠) حول تأويل رؤية النساء والرجال، وأعضاء جسم الإنسان، وأرواث الحيوان. فالرجل رمز للرزق، والمرأة العجوز هي السنة الحالية على قدر حال المرأة، والجارية سرور وفرح، والغلام هو غم وحزم ومؤنة...

وفي الباب العاشر (من ص٣٠ إلى ص٣٢) قام المؤلف بتأويل رؤية التزويج والنكاح وخروج النساء والحمل والولادة والرضاع وشبهه. فالنكاح والزواج رمز للفخر والنبل والشرف والسلطان والدنيا، وكل ذلك الشرف والفخر يكون على قدر تلك المرأة التي تزوج بها أو نسبت إليه. كذلك الذي يتزوج بامرأة ميتة يظفر بأمر ميؤوس منه. ومن رأى لامرأة ذكرًا فإن كانت حاملًا رزقت بغلام.

دار الحديث في الفصل الحادي عشر (من ص٣٢ إلى ص٣٤) حول تأويل رؤية الموت والموتى وأخبارهم وغيرهم. فالموت في النوم فساد في الدين وعلو شرف في الدنيا. أما الموت دون دفن وصراخ وعويل ولا هيئة الأموات فيرمز إلى هدم جزء من داره أو حائط، ورؤية الميت مستبشرًا فرحًا فهذا يدل على صلاح حاله في الآخرة..

وفي الباب الثاني عشر (من ص٣٤ إلى ص٣٦) دار الحديث حول تأويل رؤية الكسـوة واللبـاس والبسط وغيرها من الملبوس. فالكسـوة في التأويل تختلف باختلاف جـوهرها وأجنـاسها وقمـاشها. فما كان فيها من حرير وديباج فهو سلطان يناله ومال

حــرام. ومن رأى أنه يلبس الصوف ينال مالًا كثيرًا ودنيا صالحة. أما الشعر والوبر والقطن فهو دون الصوف والكتان. والبياض والنقاء في الثوب يدلان على حسن حال صاحبهما، ووصل الثوب بعضه في بعض أشد الفقر والحاجة.. وهكذا عبر المؤلف عن كل الرؤى الأخرى.

وفي الباب الثالث عشر دار الحديث حول تأويل رؤية الجواهر والحلي والذهب والفضــة والدنــانير والدراهم والفـلوس وغيرها (من ص٣٦ إلى ص٣٨). وهي أيضًا أي الجواهر تختلف باختلاف أجناسها وأقرانها في الرؤيا. وبالجملة إن عرف عددها فهي نساء وأولاد وخدم، وإن كانت مجهولة وكثيرة العدد فهي قرآن وعلم وتسبيح وذكر...

ودار الحديث في الباب الرابع عشر (من ص٣٨ إلى ص٣٩) حول تأويل رؤية الأواني والمواعين وغيرها. فالأواني في التأويل خدم وغلمان إلا الكانون والقدر والسفرة المسرجة والسراج فإن ذلك في التأويل رؤيا همٍّ وغمٍّ لصاحب البيت.

وفي الباب الخامس عشر (من ص ٣٩ إلى ص٤١) دار الحديث حول تأويل رؤية السلاح وأنواعه. فالسلاح كله في التأويل عز وسلطان وشرف يناله صاحبه على قدر مبلغه في الجودة والاشتهار. فمهما حدث فيه من إصلاح فهو سلطان يناله. ومن رأى أن سلاحه قد انتزع منه أو قهر عليه أو أرمي به أو وهبه أو باعه أو سرق منه أو انكسر أو ضيعه أو أعاره فإن ذلك نقصان في سلطانه ...إلخ.

وفي الباب السادس عشر (من ص٤٢ إلى ص٤٤) دار الحديث حول تأويل رؤيا الخيل والبغل والحمير وألوانها. وفيه بين المؤلف أن الفرس عمومًا في التأويل هي جاه الرجل وعزه وسلطانه وشرفه، فإن رأى فيها زيادة فهي زيادة فيما ذكرناه، ومن رأى أنه ركبه وهو يسير به رويدًا وذات الفرس كاملة فإنه يصيب سلطانًا وعزًا وشرفًا.

ودار الحديث في الباب السابع عشر (من ص٤٤ إلى ص٤٧) حول تأويل رؤيا الإبل والبقر والغنم والمعز ولحومها وألوانها. وأشار المؤلف إلى أن الإبل في التأويل قد يكون سفرًا، وقد يكون حزنًا، وقد يكون رجلًا ضخمًا عربيًا وعجميًا، والناقة امرأة إذا كان الرائي لها عزبًا. ومن رأى أن له إبلًا كثيرة يسوقها أو يملكها فإنه يلي على قوم ولاية... وعلى نفس الغرار أول باقي الحيوانات الأخرى ولحومها.

ودار الحديث في البـــاب الثـــامن عشر (من ص٤٦ إلى ص٤٧) حول رؤية الوحوش

المأكولة من الحمر والبقر والوعول والظباء ولحومها وألبانها، وانتهى إلى أن الوحوش كلها رجال لا دين لهم قد فارقوا جماعة المسلمين وارتكبوا أهواءهم، هذا إن لم يكن قصده منها الصيد. وإناث الوحوش؛ إن كان يقصد صيدها فهي نساء ورجال وزواج. ومن رأى أنه يصيد ظبيًا فجارية حسناء أو يتزوج امرأة جميلة ...إلخ.

ودار الحديث في البـاب التـاسع عشر (من ص٤٧ إلى ص٥٠) حول تأويل رؤيـا الفيل والسبـاع الضـارية وفروعـها. وانتهي المؤلف إلى أن الفيل في التأويل رجل مسـلط عظيم ذو قـهر وهيبة وهـو عجمي، فمن رأى أنه راكـبه أو مالكه أو حائزه أو متصـرف فيه من غير الحرث فإنه يصيب سلطانًا وقهرًا وغلبة، أو يتمكن من سلطان أعجـمي. ومن رأى أنه يأكل لحم فيـل فإنه يصيب مـالًا من سلطـان بقدر مـا أكل منه، أمـا الذئب فهو سلطـان ظلـوم أو رجل لص، والضبع امرأة سوء قبيحة. والقرد عدو مغلـوب قد تغيرت نعمـة الله عليه لأجل معصيته، والخنزير رجل شديد الشوكة خبيث الطبيـعة والدين، والكلب عدو غير بالغ في عداوته، وينقلب صديقًا، ويكون دنيء النفس قليل المروءة ...إلخ.

وفي الباب العشرين (من ص ٥٠ إلى ص٥٢) دار الحديث حول تأويل رؤيا الحيـات والعقارب وهوام الأرض وما ينسب إليها، فالحية في التأويل عدو كاتم العداوة مبـالغ فيها بقدر عظمها وهيئتها في المنظر. فمن رأى أنه يقاتل حية فإنه يعالج عدوًا، فإن رأى أنه ظفر بالحية ظفر بالعدو، والعكس صحيح. أما العقرب فهي عدو مكايد لا يجـارى بلسـانه، وهو يلسع عدوه وصديقه بلسـانه، وليس لـه دين ولا قول. والزنبور كـلام يسمعه من غوغـاء النـاس. والنمل رؤيا تدل على رجل كسوب كثير البركة نفاع لمن صحبه... إلخ.

وفي الباب الحادي والعشرين (من ص ٥٢ إلى ص٥٥) انتهى المؤلف إلى تأويل رؤيا حيوان الماء والسمك الطري وغيره. فالسمك الطري الكبار إذا كان كثيرًا فهو غنيمة وأموال لمن أصابها أو شيئًا منها، أما الصغار فهو هموم وأحزان. أما إذا كانت سمكة أو سمكتان فامرأة أو امرأتان، ولحوم السمك أموال وغنيمة لمن أكلها أو ملكها ...إلخ.

وحاول المؤلف في الباب الثاني والعشرين (في نفس الصفحات) تأويل رؤية السبـاع من الطيور كالنسر والعقـاب والشاهين والباشق وغير ذلك من الطيور. وانتهى إلى أن سباع الطيور هي شرف ورفعة السلطان، والعقاب سلطان ظلوم صاحب حرب وبأس شديد، وكذا الباز والشاهين. أما الحدأة فهي ملك خامل الذكر ومتواضع، والبومة إنسان لص ضعيف. والغراب إنسان فاسق كذاب ليس له دين. أما النعامة فهي امرأة غريبة بدوية، والديك رجل عجمي أو مملوك أو منادى أو مؤذن. والدجـاجة امرأة مبـاركة.

الدراجة امرأة غدارة ليس لها عقيدة ولا خير فيها. والورشان امرأة ذات لهو وطرب وفرح. والبغبغان جارية أو غلام يتيم، والطاووس الذكر أعجمي أو مال أو جماع أو جمال أو أتباع. والحمامة امرأة زوجة أو ابنة. والفاختة امرأة قليلة الحياء والدين ...إلخ.

وانتهى المؤلف في الفصل الثالث والعشرين؛ إلى أن تأويل رؤيا الحِرَف والصناعات والملاهي تختلف باختلاف الأحوال والظروف (ص٥٥ إلى ص٥٦). فالوزن والكيال في التأويل يعني القاضي إذا كانا مجهولين. فإن رآهما يصفقان فالقاضي جائر في حكمه، وإن كانا يرقصان فالقاضي عدل في حكمه وقضائه. والخطيب فقيه في الدين. وكذلك الصيرفي رجل عالم. والبزاز رجل صاحب خطر عظيم في دنياه شاعر أو حكيم. والخزان رجل عظيم شاعر يمزق أعراض الناس، والخياط رجل بائع دينه بدنياه. والإسكافي رجل يؤلف بين الناس وبين النساء والرجال. والنحاس صاحب أخبار السلطان. والنجار رجل يقهر الرجال. والحداد رجل صاحب ملك وسلطنة...، وهكذا أورد تأويلًا لمعظم الحرف والصناعات.

ودار الحديث في الباب الرابع والعشرين (من ص٥٦ إلى ص٥٨) حول تأويل أشياء متفرقة. مثال ذلك: النور تأويل للهداية، والظلمة ضلال، والطريق طريق الحق، والميل عنها ميل إلى الباطل والضلال. الخراب من الأرض ضلال لمن رأى أنه فيها. والحصن صيانة في الدين لمن رأى أنه داخلها. والكتب المطوية خبر مسطور. والكتاب المنشور خبر ظاهر. والختم تحقيق الأمر. وكتب العلوم والفقه علوم وحكمة. وكتب الشعر غواية ومكر وكذب. والمصحف حكمة ينالها الرجل ...إلخ.

ومسك الختام الباب الخامس والعشرون؛ حيث دار فيه الحديث عن تأويل قراءة سور القرآن الكريم (من ص٥٨ إلى ص٦٤). وانتهى فيه الشيخ –رحمه الله تعالى– ونفعنا به إلى أن الفاتحة الكريمة من قرأها فإنه يدعو بدعوات يجاب فيه وينال فائدة يسر بها، وقيل: يتزوج تسع نسوة متفرقات، ويكون مستجاب الدعوة. والبقرة من تلاها من نومه أو شيئًا منها أو تليت عليه فإنه يرزق طول العمر وصلاح الدين. أما آل عمران فمن تلاها في نومه يكون منحوس الحظ بين أهله، ويرزق في كبره، ويكون كثير الأسفار. أما النساء فمن تلاها يكون معه في آخر عمره امرأة جميلة لا تحسن العشرة معه، ويكون قوي الاحتجاج قوي الكلام والفصاحة. ومن تلا سورة المائدة يكون كريم النفس بالإطعام؛ غير أنه يبلى بقوة جفاة. ومن تلا الأنعام في منامه يكون متوجهًا لحفظ الدين وحسن الرزق. أما الأعراف فينال تاليها من كل علم حظًا، وربما يموت في أرض

الغربة. واستمر المؤلف في تتبع سور القرآن الكريم جميعًا مؤوِّلًا إياها حتى وصل إلى آخر سور القرآن، وهي سورة الناس فإن تاليها في منامه أعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

وهـذا آخر ما يسـره الله من جمع واختصار المنقول من الروايات الصحيحة عن سيـدنا محمد بن سيرين وغيره –رحمهم الله، وصـلى الله على سيـدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أمـا بخصوص ربط ما ورد في هذا الكتـاب بالتخصصات الدقيقة في علم النفس؛ فمـا ورد من حديث في (ص٤، ٥) عن التفكر الحدسي Intuitive thinking بمعنى الإلهام والوصول إلى الحقيقة فجأة دون مقدمات، فهذا مما يدخل ضمن موضوعات التفكير الإنساني وعلم النفس المعرفي Cognitive Psychology. كذلك الحديث عن خصال المعبر، في نفس الصفحات وما بعدها، هو حديث مرادف تمامًا للحديث عن سمات الشخصية الإنسانية الخاصة بالمعبرين للرؤى. كذلك مفاهيم مثل الفهم والتأويل والإدراك؛ كلها مما يدخل ضمن موضوعات علم النفس العام General Psychology الخاصة بالإدراك الحسي Sensory Perception وغير الحسي (وهو الفهم)، فهناك الإدراك (أو الفهم)، ثم يأتي التأويل بعد ذلك.

ورد في البـاب الثـاني حديث يصف المؤلف فيه أحوال الرائي، وهي مما يندرج تحت دراسـات علم النفس العـام، وبصفة خـاصة موضوع الانفعالات Emotions، والمشاعر Feelings الوجدانية من قبيل السرور والفرح والغضب والحب والكراهية والإقبال على الله، وتقبل البشر ...إلخ.

أما ما يمكن أن يرجى من فائدة لهذا الكتاب، فهو محاولة وضع معايير عملية قاسية لكيفية تفسير الأحلام في علم النفس، فلا تظل هذا المسألة أمرًا خاضعًا للأهواء كما هو الحال لدى سيجموند فرويد وتابعيه. كذلك يعد هذا الكتاب درسًا عظيمًا في كيفية تربية التفكير الإنساني القائم على أساس الاستقراء. فالتأويل نوع من الاستقراء العلمي القائم على أساس من قواعد وأصول لتأويل الرؤى. (انظر: الصفحات: ٢، ٤، ٥ من أول هذا الكتاب).

ولا حاجة بنا أن نشير إلى أن هذا الأمر –تأويل الرؤى وتعبيرها– شاق على غير أهلـه، ولا يستطيعه كل النـاس حتى ولو كانوا علماء لأن متطلبات القيام به كثيرة وصعبـة. وميزة هذا الكتـاب أنه لم يخلط بين الأحلام وأضغاثها، والرؤى، وميز فيما بينها تمييزًا سليمًا، على عكس الحال لدى صاحب تفسير الأحلام في مجال المرض النـفسي وتحليل الصـراعات، وهو سيجموند فرويد، الذي لم يميز بين أنـواع الأحلام،

واعتبرها كلها نوعًا واحدًا، ومال عند تفسيره لها جميعًا بالشهوات التي تريدها النفس ولا تستطيع الحصول عليها، وخاصة الرغبات الجنسية المكبوتة منها على وجه الخصوص، ولم ينته إلى قواعد ثابتة يمكن الانطلاق منها في التفسير، كما هو الحال عند شيخنا الجليل ابن سيرين، ولذا جاءت كل تفسيراته متعارضة. هذا؛ وبالله التوفيق.

***

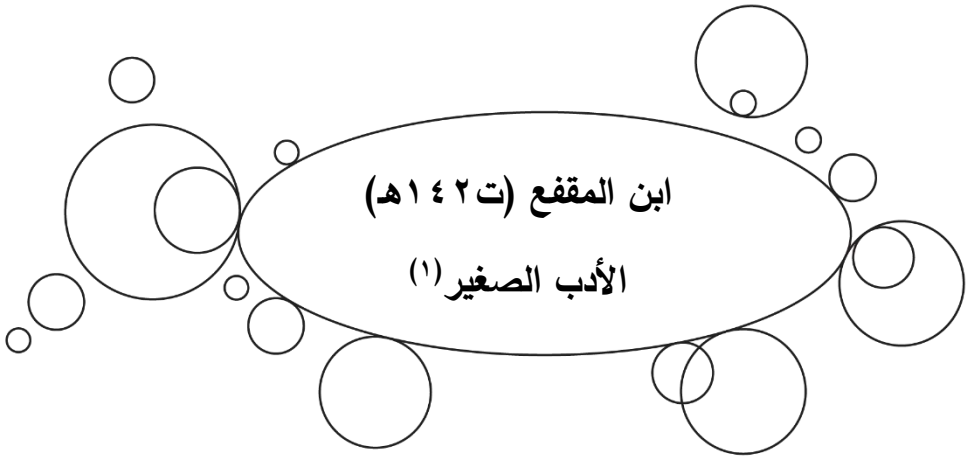

عرض: د. محمد شلبي

التعريف بالمؤلف[٢]:

عبد الله بن المقفع: من أئمة الكتاب، وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق. أصله من الفرس. ولد في العراق مجوسيًا (مزدكيًا)، وأسلم على يد عيسى بن علي (عم السفاح)، وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي. وترجم له كتب أرسطوطاليس الثلاثة في المنطق، وكتاب "المدخل إلى علم المنطق" المعروف بإيساغوجي. وترجم عن الفارسية كتاب "كليلة ودمنة"، وهو أشهر كتبه، وأنشأ رسائل غاية في الإبداع منها "الأدب الصغير"، و"الأدب الكبير"، و"الصحابة"، و"اليتيمة".

عرض الرسائل:

تقع رسالة ابن المقفع ضمن عدد من رسائل أخرى لمؤلفين آخرين في كتاب واحد يقع في ٥٣٠ صفحة، ومن بين هذه الرسائل ما تم عرضه من قبل في كتب أخرى كتهذيب الأخلاق ليحيى بن عدي، على سبيل المثال. ولذلك فسوف نركز في عرضنا هنا على رسائل ابن المقفع فقط.

الأدب الصغير:

تقع رسالة الأدب الصغير في ٣٣ صفحة من القطع المتوسط، ويعتني فيها ابن المقفع:

---

(١) بيروت: دار صادر، (١٩٨٩م)، (١٣٩ص).

(٢) المصدر: الأعلام، للزركلي.

أولًا: بتنمية العقول:

"فغاية الناس وحاجاتهم صلاح المعاش والمعاد، والسبيل إلى دركها العقل الصحيح. وأمارة صحة العقل اختيار الأمور بالبصر، وتنفيذ البصر بالعزم. وللعقول سجيات وغرائز بها تقبل الأدب، وبالأدب تنمو العقول وتزكو" (ص٤).

ويذكر ابن المقفع أن "إحياء العقل الذي يتم به ويستحكم خصال ست (ص٦-٨): وهنا إشارة إلى وسائل تنمية الذكاء المعرفي والذكاء الاجتماعي.

١- **الإيثار بالمحبة:** فإنما يبلغ المرء مبلغ الفضل في كل شيء من أمر الدنيا والآخرة، حين يؤثر بمحبته، فلا يكون شيء أمرأ ولا أحلى عنده منه.

٢- **المبالغة في الطلب:** فإن الناس لا يغنيهم حبهم ما يحبون، وهو أهم ما يهوون، عن طلبه وابتغائه، ولا يدرك لهم بغيتهم نفاستها في أنفسهم دون الجد والعمل.

٣- **التثبت والتخيُّر:** فإن الطلب لا ينفع إلا معه وبه. فكم من طالب رشد وجده والغي معًا، فاصطفى منهما الذي منه هرب، والغي الذي إليه سعى، فإذا كان الطالب يحوي غير ما يريد، وهو لا يشك بالظفر، فما أحق بشدة التبين، وحسن الابتغاء.

٤- **الاعتقاد للخير:** اعتقـاد الشيء بعد استبـانته، فهو ما يطلب من إحـراز الفضل بعد معرفته.

٥- **حسن الوعي:** أما الحفظ والتعهد، فهو تام الدرك، لأن الإنسان موكل به النسيان والغفلة، فلابد له إذا اجتبى صوابه قول أو فعل من أن يحفظه عليه ذهنه لأوان حاجته.

٦- **التعهد لما اختير واعتقد:** البصر بالموضع، فإنها تصير المنافع كلها إلى وضع الأشياء مواضعها. وبنا في هذا كله حاجة شديدة. فإننا لم نوضع في الدنيا موضع غناء وخفض، لكن موضع فاقة وكد، على العاقل أن يعلم أن الناس مشتركون، مستوون في الحب لما يوافق، والبغض لما يؤذي، وأن هذه منزلة اتفق عليها الحمقى والأكياس، ثم اختلفوا بعدها في ثلاث خصال، هي جماع الصواب وجماع الخطأ، وعندهن تفرقت العلماء والجهال، والحزمة والعجزة (ص٩-١١).

أ. فضل الرأي الجامع الذي تصلح به الأنفس والأعقاب على حاضر الرأي الذي يستمتع به قليـلًا ثم يضمحل، وأن العـاقل ينظر فيما يؤذيـه وفيما يسـره، فيعلم أن أحق

ذلك بالطلب إن كان ما يحب، وأحقه بالاتقاء إن كان مما يكره، أطوله وأدومه وأبقاه.

ب. أن ينظر فيما يؤثر من ذلك، فيضع الرجاء ولا خوف فيه موضعه، فلا يجعل اتقاءه لغير المخوف، ولا رجاء في غير المدرك، فيترك عاجل اللذات طلبًا لآجِلها، ويتحمل قريب الأذى توقيًا لبعيده، فإذا صار إلى العاقبة بدا له أن فراره كان تورطًا، وأن طلبه كان تنكبًا.

ج. تنفيذ البصر بالعزم بعد المعرفة الذي هو أدوم، وبعد التثبت في مواضع الرجاء والخوف، فإن طالب الفضل بغير بصر تائه حيران، ومبصر الفضل بغير عزم ذو زمانه محروم.

وعلى العاقل مخاصمة نفسه، ومحاسبتها، والقضاء عليها، والإثابة لها، والتنكيل بها (ص١٠، ١١). ونجد هنا إشارات عن مفهوم الذات Self-Concept، وعلى العاقل أن يحصي على نفسه مساويها في الدين وفي الرأي وفي الأخلاق، وتعديل السلوك والمنهج العلمي والموضوعية. وفي الآداب، فيجمع ذلك كله في صدر أو في كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصلاحه، ويوظف من إصلاح الخلة أو الخلال (الخصال) (ص١١).

على العاقل إذا اشتبه عليه أمران فلم يدر في أيهما الصواب أن ينظر أهواهما عنده فيحذره (ص١٤).

ثانيًا: الولاية (ص١٤-١٦):

ولاية الناس بلا عظيم. وعلى الوالي أربع خصال هي أعمدة السلطان وأركانه التي بها يقوم، وعليها يثبت:

١- **الاجتهاد في التخير للعمال والوزراء:** فإن نظام الأمر ووضع مؤونة البعيد المنتشر فإنه عسى أن يكون بتخيره رجلًا واحدًا قد اختار ألفًا، لأنه من كان في العمال خيار فسيختار كما اختير.

٢- **التقديم والتوكيل:** فإنه ليس كل ذي لب أو ذي أمانة يعرف وجوه الأمور والأعمال، ولو كان بذلك عرفًا لم يكن صاحبه حقيقًا أن يكلل ذلك إلى عمله دون توقيفه عليه، وتبيينه له، والاحتجاج به عليه.

٣- **التعهد:** فإن الوالي إذا تفقد وتحفظ كان سميعًا بصيرًا، وإن العامل إذا فعل ذلك به كان متحصنًا حريزًا.

٤- **الجزاء:** فإن تثبيت المحسن والراحة من المسيء.

ويورد ابن المقفع بعد ذلك نصائح وأبواب حكمة في مواضيع شتى نختار منها ما يلي:

- أشد الفاقة عدم العقل، وأشد الوحدة اللجوج (شدة المخاصمة)، ولا مال أفضل من العقل، ولا أنس من الاستشارة (ص١٧).
- أحق الناس بالسلطان أهل الرأفة، وأحقهم بالتدبير العلماء، وأحقهم بالفضل أعودهم على الناس بفضله، وأحقهم بالعلم أحسنهم تأديبًا، وأحقهم بالغنى أهل الجود، وأقربهم من الله أنفذهم في الحق علمًا، وأكملهم به عملًا (ص٢٠).
- فصل ما بين الدين والرأي أن الدين يسلم بالإيمان، وأن الرأي يسلم بالخصومة، فمن جعل الدين خصومة فقد جعل الدين رأيًا، ومن جعل الرأي دينًا فقد صار شارعًا، ومن كان هو يشرع لنفسه فلا دين له (ص٢١).
- من حاول الأمور احتاج إلى ست، وهن أزواج، فالرأي والأدب زوج، ولا يكمل الأدب إلا بالرأي، ولا يكمل الرأي بغير الأدب، والأعوان والفرصة زوج، لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة، ولا تنفع الفرصة إلا بحضور الأعوان، والتوفيق والاجتهاد زود، فالاجتهاد سبب التوفيق، وبالتوفيق بنجح الاجتهاد (ص٢٩).
- الرجال أربعة: جواد، وبخيل، ومسرف، ومقتصد (ص٣٠).
- الحازم لا يأمن عدوه على كل حال: إن كان بعيدًا لم يأمن من معاودته، وإن كان قريبًا لم يأمن مواثبته، وإن رآه متكشفًا لم يأمن استطراده وكمينه، وإن رآه وحيدًا لم يأمن مكره (ص٣٣).

***

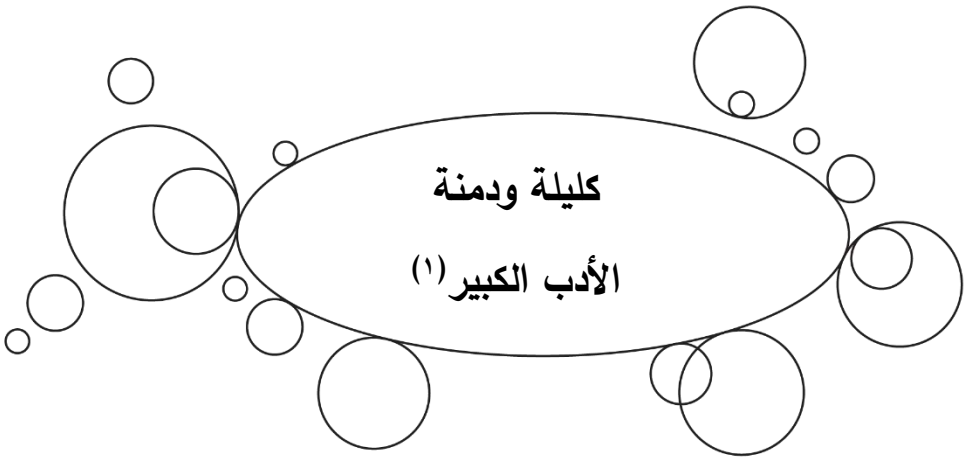

عرض: د. محمد شلبي

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في ٣٨٤ صفحة من القطع الكبير، ويهدف إلى تناول آثار ابن المقفع ذات القيمة الأدبية الرفيعة باعتبارها نثرًا عربيًا وأدبيًا جيدًا، يضاف إلى ذلك قيمتها السياسية والأخلاقية، حيث تقدم صورة دقيقة تصف الفساد الذي استشرى في أواخر الدولة الأموية، والذي امتد لأول العصر العباسي.

وعن آثار ابن المقفع: فهي كليلة ودمنة، والأدب الكبير والأدب الصغير، والدرة اليتيمة، ورسالته في الصحابة، وآثار أخرى. وهي تمثل أعمالًا أدبية لها قيمتها الفنية في تراثنا العربي. وفيما يلي نعرض لتفاصيلها:

١- كتاب كليلة ودمنة:

ألفه الفيلسوف الهندي بيدبا لحاكم هندي عرف بالظلم يسمى دبشليم، وترجمه ابن المقفع. وهناك من يقول: إنه اقتبس بعضه، وترجم البعض الآخر. ويحتوي هذا الكتاب على مجموعة من القصص الأخلاقية وضعت على ألسنة الحيوانات والطير تتناول بالنقد الصريح سياسة الضغوط والإرهاب والفساد السائد وقت ذلك، وهي في ظاهرها هزل، وفي باطنها دعوة إلى الإصلاح والإعمار.

---

(١) بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، (١٩٧٨م)، (٣٨٤ ص)، (من التراث العربي).

ورد بالكتاب أن من الأمور التي اختص بها الإنسان من بين سائر الحيوان أربعة أشياء، وهي:

- جماع ما في العالم؛ الحكمة والعفة والعقل والعدل.
- فالعلم والأدب والروية داخلة في باب الحكمة.
- والحلم والوقار داخلة في باب العقل.
- والحياء والكرم والصيانة والأنفة داخلة في باب العفة.
- والصدق والإحسان والمراقبة وحسن الخلق داخلة في باب العدل.

وهذه هي المحاسن وأضدادها هي المساوئ.

ونذكر أن هذا القول يشير إلى القيم الأخلاقية Moral Values، والمزاج Temperament. (ص٤٤).

كما يورد أقوالًا للملوك تحثهم على التروي وعدم الاندفاع، ويتصل هذا بمفهوم الاندفاعية Impulsivity (ص٤٥).

ثم يعرض لخصال لا ينبغي توفرها في الملوك، وهي: الغضب، والبخل والكذب والعنف، وهو ما يتصل بخصال القادة Leaders Characteristics مجال علم النفس الاجتماعي، وعلم النفس المهني (ص٤٨).

كما يعرض لمظاهر السلوك الأخلاقي Moral Behavior Manifestation كالرفق والتلطف والطاعة للملوك، وحفظ السر... إلخ (في ص٦١).

ويدعو أيضًا إلى التحلي بالأخلاق والموضوعية والتروي والإيمان بالقضاء والقدر وحب الناس (في ص٧٥)، وهي أيضًا من مظاهر السلوك الأخلاقي، وخصائص واجب توفرها لدى القادة.

وفي فصل عن برزويه الطبيب الفارسي الزاهد –(الذي كله ملك الفرس بأن يأتي بكتاب كليلة ودمنة سرًا من الهند ويترجمه، وقد وفق في هذه المهمة رغم العقبات التي صادفته)– في هذا الفصل يعرض لزهده وهو ما يشير إلى قمع أو كف الدوافع الفطرية Innate Motives Suppression (ص٨١-٨٤).

ويتحدث أيضًا عن المروءة وعلاقتها بمنزلة الفرد، فيذكر أنها ترفع منزلة الفرد في حين أن عدم المروءة يحط منها، وأن لكل إنسان منزلة وقدرًا.

ويتصل هذا الموضوع بمفهوم المكانة Status، وكذلك مفهوم سمات الشخصية Personality Traits (ص٩٩-١٠٢).

ويشير أيضًا إلى أسلوب للتوافق الاجتماعي والشخصي Social & Personal Adjustment، وهو النظر فيما مضى من الضر والنفع، والنظر فيما هو مقيم فيه من المنافع والمضار، ثم النظر في المستقبل لما يرجو من نفع أو يخافه من ضر (ص١١٣).

وعن أسباب فشل القائد Leaders Failure يذكر أن ما يؤخذ على القائد ويفسد أمره ستة أشياء هي: الحرمان، والفتنة، والهوى، والفظاظة، والزمان (الكوارث والأزمات)، والخرق (إعمال الشدة في موضوع اللين، والعكس) (ص١١٤).

وتشير قصة القرد والغيلم (ذكر السلحفاة) إلى أن طلب الحاجة أهون من الاحتفاظ بها، ويتصل موضوعها بمفهوم الحاجة Need (ص٢١٠-٢١٦).

أما في قصة الناسك وابن عرس، فهي تحث على التروي وعدم الاندفاع في السلوك، لذا فهي تتصل بمفهوم الاندفاعية Impulsivity (ص٢١٧-٢٢٠).

وفي مجال العدوان Aggression، والعداوة Hostility؛ تشير قصة الجرذ والسنور (الهر) إلى أن العداوة قد تصير مودة، وأن المودة قد تصير عداوة، (ص٢٢١-٢٢٦). ويشير ذلك إلى مفهوم ثنائية المشاعر أو التناقض الوجداني Ambivalence.

كما تعرض لمعنى الصداقة Friendship ومتطلباتها وواجباتها. (ص٢٤).

وعن الصفات اللازمة للتوافق الاجتماعي Social Adjustment يذكر أنها كف الأذى، وحسن الأدب، ومجانبة الريب، وكرم الخلق، والنبل في العمل (ص٢٣٢).

وتشير قصة (الأسد وابن آوى والناسك) إلى ضرورة مراجعة الحاكم لمن عاقبه بدون ذنب، ويذكر الآتي: "يسلم العاقل من الندامة بترك العجلة والتثبت، والعجلة لا يزال صاحبها يجتني ثمرة الندامة بسبب ضعف الرأي".

يتصل هذا بمفهوم الشعور بالذنب Feeling of Guilt، وكذلك مفهوم الاندفاعية Impulsivity (ص٢٤٠، ٢٤١).

ثم يحث على عقاب المخطئ وعدم التساهل معه حتي لا يتجرأ على ما هو أعظم مما ارتكبه، وفي ذلك إشارة إلى أهمية العقاب Punishment (ص٢٤٢).

وفي قصة (اللبُؤة والأسوار والشعهر)، يحث الإنسان على عدم إيذاء الآخرين،

وفي ذلك دعوة إلى عدم ممارسة العدوان Aggression (ص٢٤٤-٢٤٦).

وفي فصل (إيلاذ وبلاذ وإيراخت) يحث الكتاب على التحكم في انفعالات الغضب Emotions Control or Anger Control. وعدم التعجل بالعقوبة، أي عدم الاندفاع Impulsivity. وضرورة مشاورة أهل المودة والرأي، Consultation. وذلك عند اتخاذ القرار Decision Making Process (ص٢٤٧-٢٦٠).

٢- الأدب الكبير:

يعرض هذا الكتاب لعلاقة الراعي بالرعية، وعلاقة الرعية بعضها ببعض من منظور أخلاقي، أي أنه كتاب في السلوك الأخلاقي Moral Behavior (ص٢٧٩-٣١٤).

يحث الكاتب على إرضاء الخالق عز وجل، وإرضاء السلطان، وإرضاء التابعين الصالحين، ويتصل هذا الكلام بمفهوم الإرضاء Satisfaction (ص٢٨٢).

كما يحث على انتقاء الصحبة، ويقدم نصائح للتعامل معهم. وهو ما يتصل بمفهوم الصداقة Friendship في علم النفس الاجتماعي (ص٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٧، ٣٠١).

وفي دعوته إلى الحلم وكف الغضب إشارة إلى مفهوم ضبط الانفعال Emotional Control (ص٢٨٥، ٢٩١).

وهو ما يتصل أيضًا بالدعوة إلى الحلم والصبر على جار وعشيرة السوء (ص٣٠٢)، وضبط مشاعر العداوة (ص٣٠٣، ٣٠٤)، وضبط الشهوة الجنسية (ص٣٠٦)، وتجنب معارضة السفهاء بالسفه (ص٣٠٩).

وفي الحث على مجالسة الأفراد وفقًا لطرائقهم يذكر: (إذا أردت لقاء الجاهل بالعلم، والجافي بالفقه، والعي بالبيان لم يزد على أن تضيع عقلك، وتؤدي جليسك بحملك عليه ثقل ما لا يعرف، وغمك إياه بمثل ما يغنم به الرجل الفصيح من مخاطبة الأعجمي الذي لا يفقه). كما يذكر أيضًا: (اتق الفرح عند المحزون).

ويتصل هذا بمفهوم المرونة التكيفية Adaptive Flexibility، والتوافق الاجتماعي Social Adjustment، وكذلك مفهوم التعاطف Sympathy (ص٣١٠-٣١١). وفي مجال آداب الاستماع يقول ابن المقفع: (تعلم الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى يقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول).

كمـا يحث على عدم التطـــاول بالبلاغة أو الفصـــاحة لمن هم ليسوا بلغاء...، ويتصـــل هذا الجـــانب بمفهوم التواصـــل Communication، والتواصـــل اللفظي Verbal Communication، والكلام Speech (ص٣١٢، ٣١٣).

٣- الأدب الصغير:

يتعرض هذا الجزء إلى حاجة العقل إلى الأخلاق، وتأثير الأخلاق في تنمية العقل Moral & Mind (ص٣١٦-٣٤٣).

وعلى وجه الخصوص، يحث على ترك عاجل اللذات طلبًا لآجلها، وتحمل قريب الأذى توقـــيًا لبعيده. ولـــذا يختص الجـــزء الأول بالتحـــكم في إشبـــاع الحـــاجة Need Satisfaction بينما يتصل الجزء الثاني بالمثابرة Persistence، وكلاهما يتصلان بمفهوم النضج النفسي Psycho-Maturity (ص٣٢١).

ويذكر الكاتب حاجة العاقل إلى محاسبة نفسه والقضاء عليها إذا ساءت، والإثابة لها إذا أحسنت، أي يحتاج العاقل إلى الضمير Conscience، والموضوعية Objectivity (ص٣٢٢، ٣٣٦).

كما يتصل أيضًا الحث على عدم اتباع الآراء التي تلائم الهوى بمفهوم الموضوعية (ص٣٢٤)، حيث يتصل بعلاقة الرأي بالوجدان Opinion, Affection (ص٣٢٤).

وعن دور العقل وأهميته في توجيه السلوك يذكر أن (أشد الفاقة عدم العقل، وأشد الوحدة وحدة اللجوج، ولا مال أفضل من العقل). وهو ما يتصل بمفهوم الذكاء Intelligence (ص٣٢٦).

ثم يتحدث عن أهمية ودور العلم والمعرفة في تهذيب عقل وأخلاق الإنسان، وهو ما يتصل بمفهوم المعرفة Cognition، وكذلك يشير إلى دور التربية Education وأهميتها في هذا التهذيب (ص٣٢٨، ٣٢٩).

كما يعرض لأخلاق وآداب المتعلمين والعلماء (ص٣٣١، ٣٣٢)، وفضل العلم والتعليم (ص٣٣٠)، وهو ما يتصل بعملية التربية التي سبق لنا الإشارة إليها Education، والقيم الأخلاقية Moral Values.

ثم يعرض لمختلف النصائح والحكم حول المال والعقل والحاجة والفقر... إلخ (ص٣٣٨-٣٤٣).

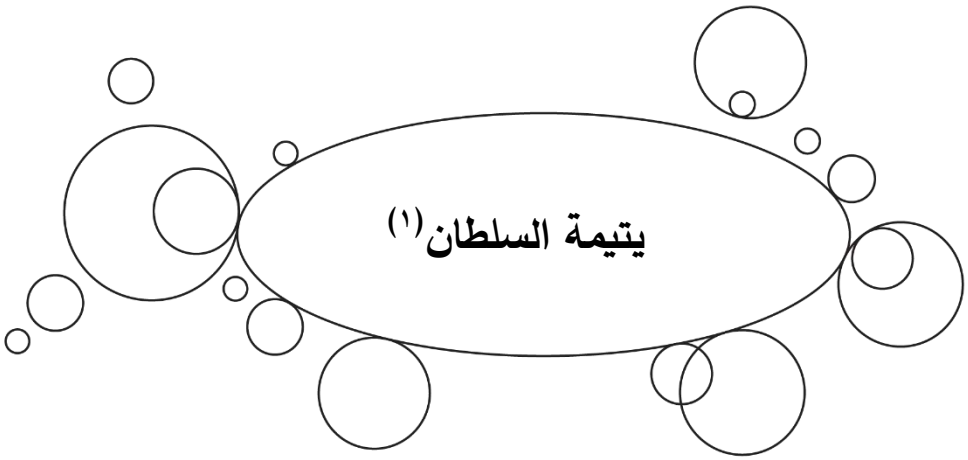

عرض: د. محمد شلبي

عرض الرسالة:

تقع في ٢٦ صفحة في كتاب محمد كرد علي، رسائل البلغاء من (ص١٤٦-١٧٢)، وتجمع جوامع الحكم والبيان.

وسنعرض لمختارات، منها: "من زرع الخير حصد الغبطة"، "لذة الدنيا في أربعة أشياء: البناء والنساء والطلاء والغناء"، "أربعة من جهد البلاء: كثرة العيال، وقلة المال، وجار السوء، والزوجة الجائرة"، "شدائد الدنيا أربعة: الشيخوخة مع الوحدة، والمرض في الغربة، وكثرة الدين مع القلة، وبعد المسافة مع الرحلة"، "المرأة الصالحة عماد الدين، وعمارة البيت، وعون على الطاعة"، "ثلاث ليس للعاقل أن يتشاءم منهن: فناء الدنيا، وتصرف أحوالها، والآفات التي لا أمان منها"، "ثلاث لا تدرك بثلاث: الغنى بالمنى، والشباب بالخضاب، والصحة بالأدوية" (ص١٤٨).

"ثماني خصال من طبائع الجهال: الغصب في غير شيء، والعطاء في غير حق، وإتعاب البدن في الباطل، وقلة معرفة الرجل بصديقه من عدوه، ووضعه السر في غير أهله، وثقته بمن لم يجربه، وحسن ظنه بمن لا عقل له ولا وفاء، وكثرة الكلام من غير نفع"، (ص١٤٩).

---

(١) اختيار وتصنيف محمد كرد علي، (ط٣)، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٩٤٦م)، في: رسائل البلغاء، اختيار وتصنيف محمد كرد علي.

"على الملك أن يعمل بخصال ثلاث: تأخير العقوبة عند سلطان الغضب، وتعجيل مكافأة المحسن، والأناة فيما لا يخاف فوته، فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان المسارعة بالطاعة من الرعية، وفي الأناة انفساح الرأي وإيضاح الصواب" (ص١٥٠).

"من جعل قدر نفسه فهو بقدر غيره أجهل. من أنف من عمل نفسه اضطر إلى عمل غيره. من استنكف من أبويه انتفى من الرشد. من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره" (ص١٥١).

"إذا صلح صنفان صلح الناس كلهم: العالم والسلطان، والعلم أجل الأشياء، تدرك به وهو لا يدرك بالأشياء" (ص١٥٣).

"ينبغي أن يكثر الإنسان المقابسة وينتفع بالتجارب، فإذا أصابه شيء يكرهه حذره وأشباهه وقاس بعضه على بعض". "إن الأعمال لا يستعان عليها إلا بالصبر، ولا يتم الصبر إلا بالعقل، وإنما يتم العقل مع التجربة، ويحفظه ويجمعه الاجتهاد والتقدم". "وعقل الرجل يستبين في ثماني خصال: **الأولى:** الرفق واللين، **والثانية:** حفظ الرجل لنفسه ومعرفته بها، **والثالثة:** طاعة الملوك والتحري لمرضاتهم، **والرابعة:** معرفة الرجل موضع سره وكيف ينبغي أن يطلع عليه صديقه، **والخامسة:** أن يكون على أبواب الملوك أديبًا حمولًا ملقًا، **والسادسة:** أن يكون لسره وسر غيره حافظًا، **والسابعة:** أن يكون على لسانه قادرًا محتاطًا مقسطًا، **والثامنة:** أن يكون إذا كان في محفل لا يجيب عما لا يسأل عنه، ولا يقول ما لا يستيقن، ولا يظهر ما يندم عليه". (ص١٥٤، ١٥٥).

وقال: "إنما يؤتى السلطان من قبل ست خلال (خصال): الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق: فأما الحرمان، فأن يحرم الإخوان والنصحاء والساسة من أهل الرأي والنجدة والأمانة فيفقد بعض من هو كذلك، أما الفتنة فوقوع الحرب، وأما الهوى فالغرام بالنساء والحديث والشراب والصيد، وما أشبه ذلك، وأما الفظاظة فإفراط الشدة حتى يجمع اللسان بالشتم واليد بالبطش في غير موضعه، وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من السنين والموتان ونقص الثمرات والغرق، وما أشبه ذلك، وأما الخرق فإعمال الشدة في موضع اللين، واللين في موضع الشدة" (ص١٥٧).

وقال: "لا شيء أشد من الفقر، وهو رأس كل بلاء، وداع لصاحبه إلى مقت الناس، وهو مسبلة للعقل، ومدهشة للفطنة، ومنقصة للمروءة، ومذهبة للعلم

والأدب، ومظنة للنهمة، ومقطعة للحياء، ومجمعة للبلاء". "والرجل إذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنًا، وأساء به الظن من كان ظن به حسنًا، فإن أذنب غيره ظنوه به وصار للتهمة موضعًا" (ص١٥٩).

وقال: "إن العلم وحسن التدبير أبلغ في هلاك العدو من النجدة والمحاربة، لأن الرجل النجد إذا اجتهد قتل عشرة من أعدائه، والرجل العالم الحسن التدبير مهلك بحيلته وتدبيره أهل العسكر الكبير الشديد الشوكة" (ص١٦٤).

وقال: "ثلاثة يزداد بها الإخاء: الزيادة في الرجال، والمواكلة والمشاربة، ومعونة الأهل والحشم".

وقال: "يستدل على جودة الذهب بالنار، وعلى قوة الدواب بالأحمال، وعلى أهل الأمانة بالأخذ والعطاء. ولا يستدل على أقصى علم النساء بشيء من الأشياء" (ص١٦٥).

الحكم والتجارب والبيان الذي عرضه ابن المقفع يتناول فيه كثير من أحوال الدنيا، منها الحياة الخاصة، والحياة العائلية، والصداقة، والولاية، والعقل، وهي ما تدخل في نطاق علم النفس الاجتماعي Social Psychology، والشخصية Personality، والذكاء Intelligence.

***

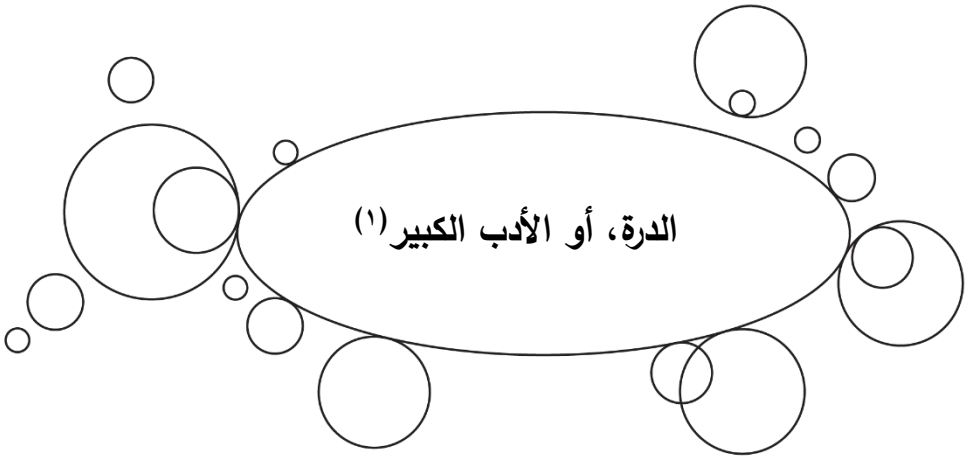

عرض: د. محمد شلبي

عرض الكتاب:

كتب عبد الله بن المقفع درته هذه لكي يفتح بابًا من العلم، مماثلًا لمن سبقوه من أهل الفضل من العلماء، "فمنتهى علم علمائنا في هذا الزمان أن يأخذ من علمهم، وغاية إحسان محسننا أن يقتدي بسيرتهم، وأحسن ما يصيب من الحديث محدثنا أن ينظر في كتبهم فيكون كأنه إياهم يحاور، ومنهم يستمع". "ذلك أن الرجل منهم كان يفتح له الباب من العلم، والكلمة من الصواب، وهو بالبلد غير المأهول، فيكتبه على الصخور مبادرة منه للأجل، وكراهية لأن يسقط ذلك من بعده، فكان صنيعهم في ذلك صنيع الوالد الشفيق على ولده، الرحيم بهم". "فلم يبق في جليل الأمر لقائل بعدهم مقال. وقد بقيت أشياء من لطائف الأمور فيها مواضع لصغار الفطن مشتقة من جسام حكم الأولين وقولهم، ومن هذا بعض ما أنا كاتب في كتابي هذا من أبواب الأدب التي يحتاج إليها الناس".

يقسم ابن المقفع كتـــابه إلى أبواب، تبدأ ببـــاب في وصف أصول الأدب في الـــدين وغير ذلك، "يا طـــالب الأدب أعرف الأصول ثم أطلب الفصول (الفروع)، فإن كثـــيرًا من النـــاس يطلبون الفصول مع إضـــاعة الأصول، فلا يكون دركهم. ومن أحرز

(١) اختيار وتصنيف محمد كرد علي، (ط٣)، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٩٤٦م)، في رسائل البلغاء.

الأصول اكتفى بها عن الفصول. وإن أصاب الفصل بعد إحراز الأصل، فهو أفضل". فأصل الأمر في الدين أن تعتقد الإيمان على الصواب، وتجتنب الكبائر، وتؤدي الفريضة". "وأصل الأمر في إصلاح الجسد ألا تحمل عليه من المأكل والمشارب والباه إلا خفافًا". "وأصل الأمر في الكلام أن تسلم من السقط بالتحفظ" (ص٤٠-٤٣).

باب (في وصف الحذر إذا تقلدت شيئًا من أمر السلطان وغيره):

يورد ابن المقفع عددًا كبيرًا من النصائح لمن يتولى الإمارة: "إن ابتليت بالسلطان فتعوذ بالعلماء"، "إياك، إذا كنت واليًا أن يكون من شأنك حب المدح والتزكية، وأن يعرف الناس ذلك منك، فتكون ثلمة من الثلم (خلل)". (ص٤٤، ٤٥).

"لتكن حاجتك في الولاية إلى ثلاث خصال: رضا ربك، ورضا سلطان إن كان فوقك، ورضا صالح من تلي عليه".

باب (في المشورة):

"لا تقذفن في روعك أنك إذا استشرت الرجال ظهر منك الحاجة إلى رأي غيرك"، والأفضل أن يقال: "لا يتفرد برأيه دون استشارة ذوي الرأي" (ص٤٦).

باب (في التماس رضا الناس):

"إنك إن تلتمس رضا جميع الناس تلتمس ما لا يدرك"، "لا تمكن أهل البلاء (الحسن عندك) من التذلل، ولا تمكن من رعيتك أبوابك التي لا ينال ما عندك من الخير إلا بها، والأبواب التي لا يخافك خائف إلا من قبلها. احرص الحرص كله على أن تكون خبيرًا بأمور عمالك: فإن المسيء يفرق من خبرتك قبل أن تصيبه عقوبتك، وإن المحسن يستبشر بعلمك قبل أن تأتيه معروفك". "ليعرف الناس فيما يعرفون من أخلاقك أنك لا تعاجل بالثواب ولا بالعقاب، فإن ذلك أدوم لخوف الخائف، ورجا الراجي" (ص٤٦، ٤٧).

باب (موعظة جامعة):

عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوى "النصيحة، والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم. ولا تسهلن سبيل ذلك إلا لأهل العقل والسن، والمروءة، لئلا ينتشر من ذلك ما يجترئ به سفيه، أو يستخف به شانئ".

"لا تتركن مباشرة جسيم أمرك فيعود شأنك صغيرًا، ولا تلزم نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعًا".

"اعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم، وأن مالك لا يغني الناس كلهم فاختص به ذوي الحقوق".

"واعلم أنك ما شغلت من رأيك في غير المهم أزرى بالمهم".

"اعلم أن من الناس ناسًا كثيرًا يبلغ من أحدهم الغضب أن يحمله ذلك على الكلوح (العبوس) والتقطيب في غير من أغضبه، وسوء اللفظ لمن لا ذنب له، والعقوبة لمن لم يكن يهم بعقوبته، وشدة المعاقبة باليد واللسان لمن لم يكن يريد به إلا دون ذلك. ثم يبلغ به الرضا إذا رضي أن يتبرع بالأمر ذي الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنده، ويعطي من لم يكن يريد إعطاءه، ويكرم من لا حق له ولا مودة" (ص٤٧، ٤٨).

باب (في أصناف الملوك):

الملوك ثلاثة: ملك دين، وملك حزم، وملك هوى (ص٤٩).

باب (في التحذير عند جدة دولة بغير حزم):

"إذا كان سلطانك عند جدة دولة، فرأيت أمرًا استقام بغير رأي، وأوانًا جزوًا بغير نيل، وعملا أنجح بغير حزم؛ فلا يغرنك ذلك"، "ولا تطمئن إليه لأن أمور الدولة ستظهر حقائقها وأصولها بعد ذلك"، فما كان من الأمر بني على غير أركان وثيقة، ولا عماد محكم، أوشك أن يتداعى أو يتصدع (ص٥٠).

باب (في النهي عن الأصحاب غير الثقات):

"إذا لم تثق في أعوانك، فعليك أن تصلح من شأنهم، أو أن تستبدلهم"، ثم يعرض ابن المقفع نصائح لمن صارت له الإمارة:

- "ليس للملك أن يغضب؛ لأن القدر من وراء حاجته".
- "وليس له أن يكذب؛ لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد".
- "لا عيب على الملك في تعيشه وتنعمه، إذا تعهد الجسيم من أمره، وفوض من دون ذلك إلى الكفاءة".
- "ليتفقد الوالي فيما يتفقد من أمور الرعية فاقة الأحرار منهم، فليعمل في سدها، وطغيان السفلة منهم، فليقمعه، وليستوحش من الكريم الجائع، واللئيم الشبعان، فإنما

يصول الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع".

- "لا يولعن الوالي بسوء الظن لقول الناس، وليجعل لحسن الظن من نفسه نصيبًا موفورًا يروح به عن قلبه، ويصدر به أعماله".
- "جماع ما يحتاج إليه الوالي (من أمر الدنيا) رأيان: رأي يقوي سلطانه، ورأي يزينه في الناس، ورأي القوة أحقهما بالبداءة وأولاهما بالأثرة، ورأي التزيين أحضرهما حلاوة، وأكثرهما أعوانًا، مع أن القوة من الزينة، والزينة من القوة، لكن الأمر ينسب إلى أعظمه" (ص٥٠-٥٤). ولعل الكلام في الجزء السابق يمكن أن يقابل موضوع القيادة Leadership في علم النفس الحديث.

باب (صحبة السلطان):

"إن شغلت بصحبة الملوك فعليك بطول المرابطة في غير معاتبة، ولا يحدثن لك الاستئناس غفلة ولا تهاونًا".

"لا يعرفنك الولاة بالهوى في بلدة من البلدان، ولا قبيلة من القبائل، فيوشك أن تحتاج فيهما إلى حكاية أو مشاهدة، فتتهم في ذلك".

"وأحقُّ من احترست منه من أن يظن بك خلط الرأي بالهوى؛ الولاةُ، فإنها خديعة وخيانة وكفر عندهم".

"إن ابتليت بصحبة وال لا يريد صلاح رعيته، فاعلم أنك قد خيرت بين خلَّتين (خصلتين) ليس منهما خيار: إما ميلك مع الوالي على الرعية؛ وهذا هلاك الدين، وإما الميل مع الرعية على الوالي؛ وهذا هلاك الدنيا، ولا حيلة لك إلا الموت أو الهرب" (ص٥٤، ٥٦).

"ولا يكونن طلبك ما عند الوالي بالمسألة. ولا تستبطئه وإن أبطأ".

"لا تخبرن الوالي أن لك عليه حقًا، وأنك تعتد عليه ببلاء".

"أعلم أن أكثر الناس عدوًا مجاهرًا حاضرًا جريئًا واشيًا، وزير السلطان ذو المكانة عنده". "فاعرف هذا الحال، والبس لهؤلاء القوم الذين هم أعداؤك سلاح الصحة والاستقامة، ولزوم الحجة فيما تسر وتعلن، ثم روح من قلبك كأنك لا عدو لك ولا حاسد". "وإن ذكرك ذاكر عند ولي الأمر بسوء في وجهك أو في غيبك، فلا يرين منك الوالي ولا غيره اختلاطًا لذلك ولا اغتياظًا" (ص٥٧، ٦٠).

"جانب المسخوط عليه والظنيين (المشكوك والمتهم) به عند الولاة، ولا تظهرن له عذرًا، ولا تثني عليه خيرًا عند أحد من الناس".

"ليعلم الوالي أنك لا تستنكف عن شيء من خدمته، ولا تدع مع ذلك أن تقدم إليه القول، عند بعض حالات رضاه وطيب نفسه".

"إذا أحببت الجاه والخاصة عند الملك، فلا يحدثن لك ذلك تغيرًا على أحد من أهله وأعوانه، ولا استغناء عنهم، فإنك لا تدري متى ترى أدنى جفوة أو تغير فتذل لهم فيها".

"ليكن مما تحكم من أمرك أن لا تسار (تناجي) أحدًا من الناس، ولا تهمس إليه بشيء عند السلطان، فإن السرار يخيل إلى كل من رآه (من ذي سلطان أو غيره)، أنه المراد به، فيكون ذلك في نفسه حيلة ووغرًا".

"إن سأل الوالي غيرك فلا تكونن أنت المجيب عنه، فإن استلابك (أخذ) الكلام خفة بك، واستخفاف منك بالمسؤول والسائل". "لا تسابق الجلساء تواثب الكلام مواثبة، فإنك إذا سبقت القوم إلى الكلام، صاروا لكلامك خصماء، فيتعقبونه بالعيب والطعن". "وإذا أنت لم تعجل بالجواب وخليته (تركته) للقوم اعترضت أقاويلهم على عينك، ثم تدبرتها وفكرت فيما عندك، ثم هيأت من تفكيرك ومحاسن ما سمعت جوابًا راضيًا".

"إن كلمة واحدة من الصواب تصيب موضعها خير من مئة كلمة تقولها في غير فرصها ومواضعها. مع أن كلام العجلة والبدار موكل به الزلل وسوء التقدير، وإن ظن صاحبه أنه قد أتقن وأحكم".

"إن كلمك الوالي فأصغ إلى كلامه، ولا تشغل طرفك عنه بنظر (إلى غيره)، ولا أطرافك بعمل، ولا قلبك بحديث نفسك" (ص٦١-٦٣). ونجد هنا مقدمات تنتمي لموضوعي التخاطب Communication، والصداقة Friendship في علم النفس الحديث.

"ارفق بنظرائك من وزراء السلطان ودخلائه واتخذهم إخوانًا، ولا تتخذهم أعداء، ولا تنافسهم في الكلمة يتقربون بها".

"إذا أصبت عند الوالي لطف منزلة لغناء (كفاية) بجده عندك.. فلا تزين لك نفسك المزايلة (مفارقة، مباعدة) له عن أليفه وموضع ثقته وسره قبلك، تريد أن تقلعه

وتدخل دونه، فإن هذه خلة من خلال السفه" (ص٦٤، ٦٥).

"اعلم أنه يكاد يكون لك رجل غالبه حديث (ما يغلب على حديثه)، إما عند بلد من البلدان، أو ضرب من ضروب العلم، أو صنف من صنوف الناس، أو وجه من وجوه الرأي. وعندما يغرم به الرجل من ذلك يبدو منه السخف، ويعرف منه الهوى. فاجتنب ذلك في كل موطن، ثم عند أولي الأمر خاصة".

"لا تكونن صحبتك للملوك إلا بعد رياضة (تعويد) منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك، وموافقتهم فيما خالفك، وتقدير الأمور على ميلهم دون ميلك" (ص٦٩).

باب (في معاملة الصديق):

"لا تخلطن بالجد هزلًا، ولا بالهزل جدًا، فإنك إن خلطت بالجد هزلًا هجنته، وإن خلطت بالهزل جدًا كدرته".

"تحفظ في مجلسك ولكلامك من التطاول على الأصحاب".

"لا تكثرن ادعاء العلم في كل ما يعرض بينك وبين أصحابك... لأنهم إما ينازعوك فيما ادعيت... أو ينكشف منك التصنع".

"استحي الحياء كله من أن تخبر صاحبك أنك عالم وأنه جاهل، مصرحًا أو معرضًا".

"إذا رأيت رجلًا يحدث حديثًا قد علمته، أو يخبر خبرًا قد سمعته؛ فلا تشاركه فيه، ولا تتعقبه عليه، حرصًا على أن يعلم الناس أنك قد علمته، فإن في ذلك خفة وشحًا وسوء أدب وسخفًا".

"اجعل غاية نيتك في مؤاخاة من تواخي، ومواصلة من تواصله؛ توطين نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك، وإن ظهر لك منه ما تكره".

"إذ نظرت في حال من ترتئيه لإخائك، فإن كان من إخوان الدين فليكن فقيهًا ليس بمراء ولا حريص، وإن كان من إخوان الدنيا فليكن حرًا ليس بجاهل ولا كذاب ولا شرير" (ص٧٧).

"اعلم أن انقباضك عن الناس يكسبك العداوة، وأن تفرشك لهم يكسبك صديق السوء" (ص٧٨).

"احترس من سورة الغضب، وسورة الحمية، وسورة الحقد، وسورة الجهل، واعدد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها، من الحلم والروِّية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة" (ص٨١).

"ذلل نفسك بالصبر على جار السوء، وعشير السوء، وجليس السوء، فإن ذلك ما لا يكاد يخطئك" (ص٨٢).

"ليكن مما تصرف به الأذى والعـــذاب عن نفسك ألا تكـون حســـودًا، فإن الحسد خلق لئيم" (ص٨٤).

"إن كنت مكافئًا بالعداوة والضرر؛ فإياك أن تكافئ عداوة السر بعداوة العلانية، وعداوة الخاصة بعداوة العامة، فإن ذلك هو الظلم والعار" (ص٨٥).

"من الحيلة في أمرك مع عدوك أن تصادق أصدقاءه، وتؤاخي إخوانه فتدخل بينه وبينهم في سبيل الشقاق ولا تجافي، فإنه ليس رجل ذو طرق يمتنع من مؤاخاتك إذا التمست ذلك منه. وإن كان إخوان عدوك غير ذوي طرق عدو لك". أحصِ معايب ومثالب عدوك من غير أن تشيع ذلك عليه فيتقيك به، ويستعد له.

"إن أردت أن تكون داهيًا فلا تحبَّن أن تسمى داهيًا، فإنه من عرف بالدهاء حاتل (خادع) علانية وحذره الناس، حتى يمتنع منه الضعيف" (ص٨٦).

"فإن من أرب (دهاء) الأريب دفن ما استطاع، حتى يعرف بالمسامحة في الخليقة، والاستقامة في الطريقة" (ص٨٦).

"أحصِ عيوبك وعوراتك كما تحصي عيوب عدوك، وبادر بإصلاح عيوبك، وتحصين عوراتك قدر استطاعتك، فإن لم تستطع فاعلم أنك سهل المنال من عدوك".

وهو كلام مباشر لموضوع الصداقة أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي الحديث.

باب (غير مبين...):

"اعلم أن من أوقع الأمور في الدين، وأنهكها للجسد، وأتلفها للمال... الغرام بالنساء" (ص٨٩).

"إنما النساء أشباه... بل كثير مما يرغب عنه الراغب أفضل عنده ما تتوق إليه نفسه منهن" (ص٩٠).

"إذا تراكـمت الأعمـــال عليك فلا تلتمس الروح في مدافعتـها بالروغان منها، فإنه

لا راحة لك إلا في إصدارها، وإن الصبر عليها هو الذي يخففها عنك، وإن الضجر منها هو الذي يراكمها عليك" (ص٩٢).

"فتعهد من ذلك في نفسك خصلة قد رأيتها تعتري بعض أصحاب الأعمال، وذلك أن الرجل يكون في أمر من أمره فيرد عليه شغل آخر، ويأتيه شاغل من الناس يكره تأخيره، فيكدر ذلك بنفسه تكديرًا يفسد ما كان فيه، وما ورد عليه، حتى لا يحكم واحدًا منهما. فإن ورد عليك مثل ذلك فليكن معك رأيك (وعقلك) اللذان تختار بهما الأمور، ثم اختر أولى الأمرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه، ولا يعظمن عليك فوت ما فات، وتأخير ما تأخر، إذا أعملت الرأي معمله، وجعلت شغلك في حقه" (ص٩٢، ٩٣).

"انظر الأخبار الرائعة وتحفظ منها" ... "فأكثر الناس من يحدث بما سمع ولا يبالي ممن سمع، وذلك مفسدة للصدق، ومزرأة بالرأي" (ص٩٤).

"إذا بدهك أمران لا تدري أيهما أصوب، فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه، فإن الصواب في خلاف الهوى" (ص٩٨).

"لا تجالس امرأ بغير طريقته، فإنك إن أردت لقاء الجاهل بالعلم، والجافي بالفقه، والعيي بالبيان، لم تزد على أن تضيع عقلك، وتؤذي جليسك" (ص٩٩).

"اتق الفرح عند المحزون"، "ولا تستخف شيئًا مما يأتي به جليسك" (ص١٠٠).

"تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ومن حسن إمهال المتكلم، والوعي لما يقول" (ص١٠١).

أوجه الاستفادة من هذا الكتاب في علم النفس:

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس الاجتماعي (خاصة موضوع الصداقة).

***

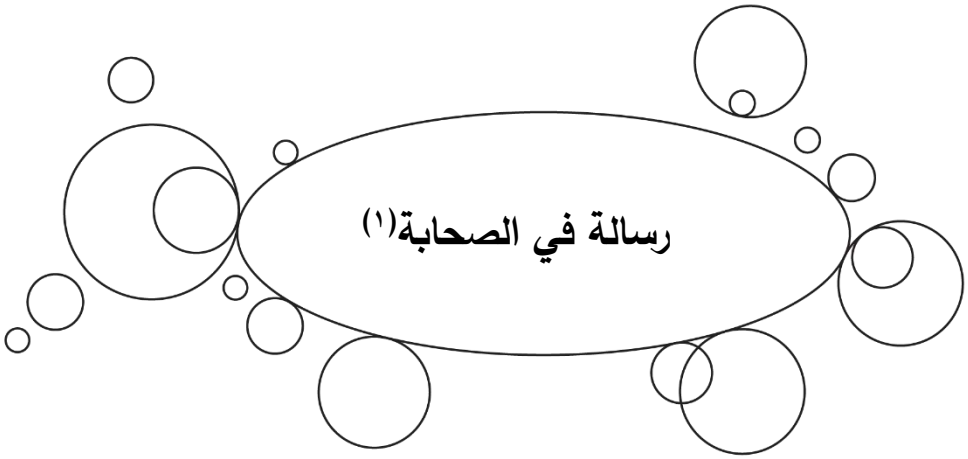

عرض: د. محمد شلبي

عرض الرسالة:

رسالة ابن المقفع في الصحابة تقع في ١٧ صفحة، من (ص١٧ إلى ص١٣٤) من كتاب محمد كرد علي، رسائل البلغاء، وهي مقال سياسي ناصح لأمير المؤمنين، ولا ينطبق عليها اسمها، وإنما هي مقال سياسي مماثل لما نقرؤه اليوم في الجرائد والمجلات السيارة.

ونعرض فيما يلي لمقتطفات تمثل الإطار العام للمقالة: "وفي الذي قد عرفنا من طريقة أمير المؤمنين ما يشجع ذا الرأي على مبادرته بالخير فيما ظن أنه لم يبلغه إياه غيره، وبالتذكير بما قد انتهى إليه. ولا يزيد صاحب الرأي على أن يكون مخبرًا أو مذكرًا، وكل عن أمير المؤمنين مقبول إن شاء الله" (ص١١٨).

"والذي يقول أهل القصد من المسلمين هو أقوى للأمر، وأعز للسلطان، وأقمع للمختلف، وأوصى للموافق، وأثبت للعذر عند الله عز وجل" (ص١٢٠).

"فإنا قد سمعنا فريقًا من الناس يقولون: لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق، بنوا قولهم هذا بناء معوجًا، فقالوا: إن أمرنا الإمام بمعصية الله فهو أهل أن يعصى، وإن أمرنا الإمام بطاعة الله فهو أهل أن يطاع... وهذا قول معلوم يجده الشيطان ذريعة إلى خلع الطاعة والذي فيه أمنيته. لكي يكون الناس نظائر، ولا يقوم بأمرهم إمام، ولا

(١) اختيار وتصنيف محمد كرد علي، (ط٣)، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٩٤٦م)، في رسائل البلغاء.

يكون على عدوهم منهم ثقل" (ص١٢٠).

ويقرر أن الإمام لا يطاع في معصية الله (ص١٢١).

وينصح ابن المقفع أمير المؤمنين بشأن الجند: "مما ينظر فيه لصلاح هذا الجند ألا يولي أحدًا منهم شيئًا من الخراج، فإن ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة" (ص١٢٢). "ومن ذلك تعهد أدبهم في تعلم الكتاب، والتفقه في السنة، والأمانة والعصمة، والمباينة لأهل الهوى، وأن يظهر فيهم من القصد والتواضع واجتناب رأي المترفين وشكلهم مثل الذي يأخذ به أمير المؤمنين وقتًا يعرفونه في كل ثلاثة أو أربعة أو ما بدا له، وأن يعلم عامتهم العذر في ذلك... يعلموا الوقت الذي يأخذون فيه، فينقطع الاستبطاء والشكوى، فإن الكلمة الواحدة تخرج من أحدهم في ذلك أهل أن تستعظم، وإن باب ذلك جدير أن يحسم؛ مع أن أمير المؤمنين قد علم كثرة أرزاقهم، وكثرة المال الذي يخرج لهم" (ص١٢٣).

ومما ينظر أمير المؤمنين فيه أمر هذين المصرين (البصرة والكوفة) وغيرهما من الأمصار اختلاف الأحكام التي قد بلغ اختلافها أمرًا عظيمًا في الدماء والفروج والأموال، فيستحل الدم والفرج بالحيرة، وهما يحرمان بالكوفة، ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة، فيستحل في ناحية منها ما يحرم في ناحية أخرى" (ص١٢٦).

"فلو رأى أمير المؤمنين أن يأمر بهذه الأقضية والسير المختلفة فترفع إليه في كتاب، ويرفع معها ما يحتاج به كل قوم من سنة أو قياس" (ص١٢٦، ١٢٧).

وينتقد ابن المقفع صحابة أمير المؤمنين: "وإن أمر هذه الصحابة قد كان فيه أعاجيب دخلت فيه مظالم... فقد سمعنا من الناس من يقول: ما رأينا أعجوبة قط أعجب من هذه الصحابة، ممن لا ينتهي إلى أدب ذي نباهة، ولا حسب معروف، ثم هو مسخوط الرأي، مشور بالفجور في أهل مصره" (ص١٣٠).

ويقدم النصح لأمير المؤمنين فيمن ينبغي أن يضمه لصحبته: "هي مكرمة سنية، حَرِية أن تكون شرفًا لأهلها، له عند أمير المؤمنين خاصة بقرابة أو بلاء" (ص١٣١).

أوجه الاستفادة من هذه الرسالة في علم النفس:

يمكن الاستفادة من هذه الرسالة في مجال علم النفس الاجتماعي.

***

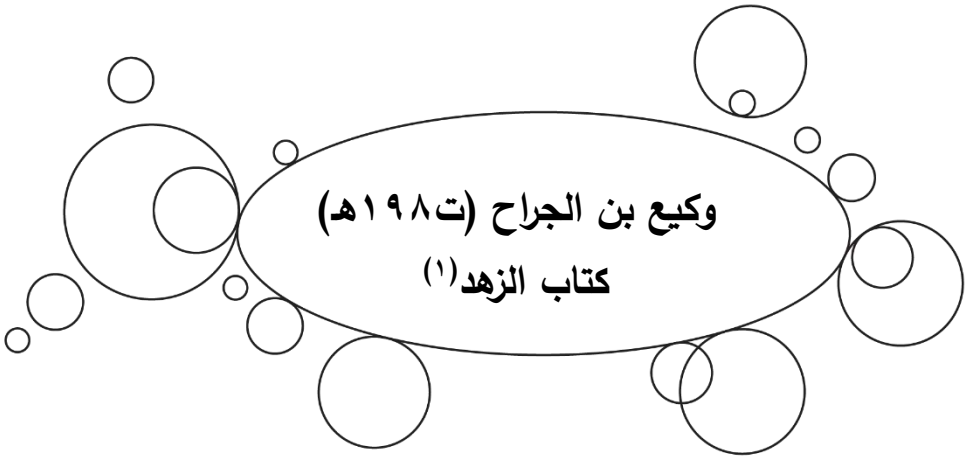

عرض: د. عبد اللطيف محمد خليفة

التعريف بالمؤلف:

هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة. قيل: إن أصله من قرية من قرى نيسابور، وقيل: بل أصله من السُغْد. وفي تاريخ ولادته أقوال: منها أنه ولد سنة تسع وعشرين ومئة، وأنه ولد سنة ثمان وعشرين ومئة، وأنه ولد سنة تسع عشرة ومئة.

نشأ الإمام وكيع بن الجراح وتربى في أسرة عريقة في العلم والدين حيث كان والده الجراح بن مليح من رواة الحديث. وأمه: أم وكيع هي بنت عمارة بن شداد بن ثور بن رواس، كانت ثرية حيث تركت لابنها مئة ألف درهم، وأولاده: هم: سفيان ومليح وأحمد ويحيى وعبيد وإبراهيم. وروى منهم عن أبيه: عبيد، ومليح، وسفيان.

ولد الإمام وكيع بن الجراح (١٢٩-١٩٧هـ) في أواخر العهد الأموي حينما كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، وقضت عليه الحركات السياسية المعارضة، وانتهى الأمر إلى الإطاحة بالدولة الأموية على أيدي دعاة الدولة العباسية بخراسان والعراق.

وقد برز في عصره عدد كبير من العلماء الأجلاء الذين ساهموا في حركة التدوين حفـــظًا للسنة، ومنعًا للتـــــلاعب فيها. منهم الإمـــام وكيع بن الجــراح الذي نحن بصدد

(١) حققه وقدم له وخرج أحاديثه وآثاره عبد الرحمن عبد الجبار الفريواتي، (ط١)، المدينة المنورة: مكتبة الدار، (١٩٨٤م). ٣مج، في (٩٤٣ص).

التعريف به، والزهري، والأعمش، وابن جريج، وابن إسحاق، ومعمر بن راشد.

وقد توجه وكيع إلى تحصيل العلم مبكرًا، وكان له نشاط ملموس في الرحلات العلمية حيث رحل إلى مدن كثيرة، وأخذ العلم من علمائها، كما روى لهم ما تجمع لديه من أحاديث وآثار، ونشر عقيدة السلف، ورد على أصحاب الزيغ والضلال.

ولقي وكيع بن الجراح من أهل العلم حفاوة وتكريمًا بالغين، فكانوا يهتمون بالأخذ عنه. ومن تلاميذه: شيخه الثوري، وابن المبارك؛ صاحب "الزهد" و"البر والصلة"، وابن معين؛ صاحب "التاريخ"، والحميدي؛ صاحب "المسند"، وابن أبي شيبة؛ صاحب "المصنف" و"الأدب" و"الإيمان".

ومن مؤلفاته: المصنف، والسنن، والمسند، والتفسير، والمعرفة والتاريخ، وكتاب الهبة، وكتاب الأشربة، وكتاب الزهد (الذي نعرض له).

عرض الكتاب:

يتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء. نعرض لها على النحو التالي:

الجزء الأول: من كتاب الزهد

ويستهله المؤلف ببيان أهمية الزهد. فإذا أراد الله بعبد خيرًا زهده في الدنيا، وفقهه في الدين، وبصره عيوبه، ومن أوتيهن؛ أوتي خير الدنيا والآخرة. ثم عرض بعد ذلك لعدد من الموضوعات أو الأبواب، على النحو التالي:

١. **باب موعظة النبي ﷺ في الزهد:** ويشير مضمونه إلى أن الزهد ليس معناه الفراغ والانقطاع للعبادة فقط. لكن لابد أن يشغل الإنسان وقته في العمل والعبادة معًا.
٢. **باب من قال: عد نفسك في الموتى:** حيث يجب على الإنسان أن يعيش في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل، وأن يعد نفسه مع الموتى.
٣. **باب الاستعداد للموت:** فمن شرح الله صدره للإسلام؛ تجافى عن دار الغرور، واستعد للموت قبل نزول الموت.
٤. **باب قلة الضحك:** وفيه إشادة واضحة لأن يقلل المرء قدر الإمكان من الضحك. قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا».ويرتبط هذا الباب بموضوع الانفعالات Emotions، (ص٢٤٢-٢٤٨).
٥. **باب في البكاء:** وفيه إشارة واضحة إلى البكاء، البكاء مع ذكر الخطيئة

البكاء خشية لله سبحانه وتعالى. سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ: ما نجاة المؤمن؟ قال: «**احفظ لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**».

٦. **باب الضحك:** فبعد نزول الآية الكريمة:: ﴿**أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ**﴾ [النجم: ٥٩-٦٠]؛ لم يضحك الرسول ﷺ إلا تبسمًا، ولا يلتفت إلا جميعًا (ص٢٦٧).

- ويرتبط ما ورد في البابين السابقين (٥، ٦) أيضًا بموضوع سيكولوجية الانفعالات، فالبكاء يعكس الشعور بالندم والحزن، أما الضحك فيعكس غالبًا الشعور بالسعادة (ص٢٦٦، ٢٦٨).

٧. **باب الموت وصفته:** يتضمن مجموعة من الأقوال والأحاديث النبوية الشريفة عن طبيعة الموت وصفته. قال رسول الله ﷺ: «**جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه**». ففي الموت كما قال الله عز وجل ﴿**وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ**﴾ [القيامة:٢٩]، أي الدنيا بالآخرة.

٨. **باب الحديث عن بني إسرائيل:** والأحاديث والآثار الواردة تحت هذا الباب غالبها تتعلق بالموت وصفته كالباب السابق.

٩. **باب الدنيا ومثلها:** وفيه إشارة إلى أن الدنيا زائلة، ومتاعها زائل، فهي كما قال رسول الله ﷺ «**ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب**».

١٠. **باب هوان الدنيا:** فقد قال أحد الصحابة: من أراد الدنيا أضر بالآخرة، ومن أراد الآخرة أضر بالدنيا، يا قوم، فأضروا بالفاني للباقي.

١١. **باب رد النفس وقلة الأكل:** ويتضمن مجموعة من الأقوال والأحاديث التي تحث على ضبط رغبات وحاجات المرء، كالحاجة للطعام.

- ويرتبط هذا الباب بحديث علماء النفس عن مفهوم ضبط النفس Self-Control والدافع إلى الطعام أو الجوع، وضرورة تحكم الفرد فيه (ص٣٠١-٣٠٨).

١٢. **باب فضل المؤمن:** وفيه بيان بفضل المؤمن عند الله سبحانه وتعالى.

١٣. **باب راحة المؤمن:** حيث ترتبط راحة المؤمن بلقاء الله سبحانه وتعالى. فكما قال سفيان عن أبيه: ما من غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت. وكما قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»، والموت قبل لقاء الله يعني قدر الله عليه الموت قبل لقائه.

١٤. **باب ما يجزى به المؤمن:** ومنه الدعوة إلى تقوى الله عز وجل، والمعاملة الحسنة، وشكر الله في كل الأحوال.

١٥. **باب معيشة آل محمد** ﷺ: وفيه التقشف والاعتدال في المأكل والملبس وغير ذلك من الأمور.

١٦. **باب ذكر معيشة رسول الله** ﷺ: وفيه إشارة لحياة رسول الله ﷺ، التي اتسمت بضبط النفس وقمع الشهوات والدوافع الفطرية.

- ويرتبط هذا الباب بموضوع الدوافع Motives، وخاصة قمع الدوافع الأولية أو الفطرية (كالطعام والشراب... إلخ) (ص٣٤٤-٣٥٠).

١٧. **باب التواضع ولبس الصوف:** وفيه إشارة واضحة إلى التواضع وأهميته في حياة الإنسان، التواضع في اللبس مثلًا، حيث كان الأنبياء لا يستحيون من أن يلبسوا الصوف، ويركبوا الحمير، ويحلبوا الغنم. ويجب أن نقتدي بهؤلاء الأنبياء، ونجعلهم مثلنا الأعلى في تصرفاتنا.

١٨. **باب ذكر الفقر:** ويشير مضمونه إلى تفضيل حالة الفقر وعدم الشهرة، وقلة الأهل والمال. وأوضح دليل على ذلك قول رسول الله ﷺ: «**إن أغبط أوليائي عندي: مؤمن خفيف الحاذ، ذو حفًا من صلاة، أحسن عبادة ربه، وكان غامضًا في الناس لا يشار إليه بالأصابع، تعجلت منيته، وقل تراثه، وقلت بواكيه**».

١٩. **باب ذكر منزلة الفقر:** وتكشف مجموعة الأقوال والأحاديث النبوية الشريفة تحت هذا الباب أن للفقر منزلة كبيرة عند الله عز وجل، ورسوله محمد ﷺ، وقال الرسول ﷺ في ذلك: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله**».

٢٠. **باب الاجتهاد في العمل:** وفيه إشارة واضحة إلى الجدية في العمل وتحمل المسؤولية، والعمل هنا ليس المقصود به العمل الدنيوي الزائل، ولكن العمل من أجل الآخرة، الصلاة، الصوم، العبادات بكل فروعها وأقسامها.

٢١. **باب من قال: ليتني لم أُخْلَق:** ويتضمن دعوة من بعض الصحابة رضي الله عنهم، بقولهم: "ليتنا لم نخلق"، مثلًا، قالت عائشة: "وددت أني كنت نسيًا منسيًا". وقال البعض الآخر: "وددت أني كنت طيرًا، في منكبي ريش".

الجزء الثاني: من كتاب الزهد

٢٢. **باب من كره المال والولد:** حيث قال البعض في دعائه: اللهم أرزقني الإيمان والعمل، وامنعني المال والولد. ودعا البعض الآخر بكثرة الأولاد. فهم كما قال عنهم رسول الله ﷺ: «**ثمرة القلوب، وقرة الأعين**»، وأنهم مع ذلك لمجبنة، مبخلة، محزنة.

- ويرتبط هذا الباب بموضوع الدوافع Motives سواء الاجتماعية المكتسبة (كالدافع إلى التملك)، والدوافع الفطرية الأولية (كدافع الأمومة)، (ص٤١٥-٤٢٤).

٢٣. **باب ذكر الغنى:** فليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغني المقصود هو غنى النفس. فكما قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعل غنانا في أنفسنا**».

٢٤. **باب ذكر الحرص على المال:** وهو من الأشياء التي يسعى الإنسان إليها مهما طال عمره. فكما قال رسول الله ﷺ: «**يهرم ابن آدم، ويبقى منه اثنتان: الحرص والأمل**». فالمرء حريص على جمع المال وطول الحياة.

- يرتبط هذا الباب بالدوافع المكتسبة كحب المال. (ص٤٣٠-٤٣٦).

٢٥. **باب الأمل والأجل:** فهناك خوف على الإنسان من اثنين: طول الأمل، واتباع الهوى. فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق. ويجب على الإنسان أن يكون من أبناء الآخرة، لا من أبناء الدنيا.

- ويرتبط هذا الباب بموضوع الدوافع وتأثيرها في التفكير، حيث تؤثر دوافعنا وميولنا في تفكيرنا، وتعطل وصول التفكير إلى الحق. (ص٤٣٦-٤٤١).

٢٦. **باب الأثر الحسن:** فالله عز وجل يحب أن يرى أثر نعمته على عبده حسنًا، ويكره البؤس والتباؤس.

٢٧. **باب فضل الصبر:** فالصبر كما قال علي رضي الله عنه: من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. فالصبر مطلوب عند كل بلاء، وكل لقاء، من رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط، فالصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله.

٢٨. **باب الحزن وفضله:** فالسكوت والحزن مطلوب في بعض المواقف كالجنازة مثلًا. فالرسول ﷺ إذا كان في جنازة أكثر السُّكات وحدث نفسه.

- ويرتبط هذا الباب بموضوع الانفعالات Emotions (انفعال الحزن) والقدرة على الضبط والتحكم في انفعالاتنا (ص٤٥٩-٤٦٣).

٢٩. **باب التواضع:** وهو كما قال الصحابة من أفضل العبادات. قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد**».

٣٠. **باب الاجتهاد والورع:** وفيه إشارة واضحة إلى فضل الاجتهاد والورع، فكما قال رسول الله ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة، وملاك دينكم الورع».

٣١. **باب التفكر:** وفيه دعوة إلى التفكر في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار. وذلك لما فيه من ذكر الحق، وقوة الإيمان والعقيدة.

٣٢. **باب فضل الفقه:** فمن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، ويلهمه رشده فيه.

٣٣. **باب الاقتصاد في العمل:** فيجب على المرء أن يعمل حسب مقدرته واستطاعته، فكما قال رسول الله ﷺ: «**ليأخذ أحدكم من العمل ما يطيق، فإن أحدكم لا يدري ما قدر أجله**». فكان أحب الأعمال إلى رسول الله ﷺ الدائم وإن قل.

٣٤. **باب محاسبة الرجل نفسه والإنصاف من نفسه:** فلا يكون الرجل تقيًا حتى يحاسب نفسه محاسبة شريكه، وحتي يعلم من أين ملبسه، ومطعمه ومشربه.

٣٥. **باب فضل عمل السر:** فهناك أجر لمن يعمل في سر وصمت. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: «**إني أعمل العمل فأستره، فيطلع عليه فيعجبني؟ قال: لك أجران: أجر السر، وأجر العلانية**».

٣٦. **باب من كان يحب الخلوة:** ففي الخلوة والعزلة راحة من خلاط السوء.

- ويرتبط هذا الباب بموضوع الصداقة Friendship، وهو ما يقع في مجال بحوث ديناميات الجماعة أو بحوث الجماعات الصغيرة Group Dynamics (ص٥١٤-٥٢١).

٣٧. **باب من كره التسويف في العمل:** فالتؤدة في كل شيء خير، إلا ما كان في أمر الآخرة. قال رسول الله ﷺ: «**بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وخويصة أحدكم**».

٣٨. **باب من يخالف قوله عمله:** فمن وافق قولُه فعلَه فذلك أصاب حظه، ومن خالف قولُه فعلَه فإنما يوبخ نفسه.

- **ويرتبط هذا الباب بموضوع العلاقة بين الاتجاه والسلوك** The Relation between Attitudes and Behavior

وهو أحد الجوانب الهامة في مجال سيكولوجية الاتجاهات، وتغيير الاتجاهات. فأحيانًا يعبر الفرد عن اتجاهه لفظيًا، بشكل يخالف الواقع أو السلوك الفعلي (ص٥٢٧-٥٣٣).

٣٩. **باب قلة الذنوب:** فيجب على الإنسان أن يقلل ذنوبه كلما أمكنه ذلك. فكما قالت عائشة رضي الله عنها: "أقلوا الذنوب، فإنكم لن تلقوا الله بشيء أفضل من قلة الذنوب".

٤٠. **باب التوبة وحفظ اللسان:** فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له. قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة:٢٢٢]. ويجب على الإنسان أن يحفظ لسانه، ويعفه عن كل معصية، وأن لا يتحدث إلا في الخير لنفسه والآخرين.

- ويرتبط هذا الباب بضبط النفس Self-Control، وبالشعور بالذنب وعلاجه عن طريق التوبة. (ص٥٤٢، ٥٦٠).

٤١. **باب التنظف:** وفيه الدعوة إلى ضرورة النظافة وأهميتها في حياة الفرد. وقال رسول الله ﷺ: «**نظفوا أفنيتكم، فإن اليهود أنتن الناس**».

٤٢. **باب الترتيل في الخطبة:** قال الصحابة رضي الله عنهم: كان كلام رسول الله ﷺ: ترتيلًا وترسيلًا. أي ضرورة الحديث بشكل منتظم في الإلقاء حتى يسهل التخاطب والتواصل والفهم بين الأفراد.

- ويرتبط هذا الباب بموضوع سيكولوجية التخاطب Communication، وكيف يكون المرسل أو المصدر Source مؤثرًا وقادرًا على إقناع الآخرين وتقديم رسالته بشكل يضمن وصولها إلى جمهور المستقبلين أو المستمعين بشكل أفضل. (ص٥٦٧-٥٧٦).

٤٣. **باب الرياء:** وهو من الأشياء المكروهة. فالله لا يسمع من مسمع، ولا مراء، ولا داع إلا داعٍ ثبتًا من قلبه، ولا يقبل إلا الناخلة من الدعاء، أي المنخول الخالص.

٤٤. **باب السمعة:** فمن يسمع الناس بعمله سمَّع الله به سامع خلقه، وحقره.

٤٥. **باب من قال: البلاء موكل بالقول:** وتسير مجموعة الأحاديث التي يشتمل عليها هذا الباب إلى أن البلاء موكل بالقول، وما قال عبد لشيء: لا ، والله لا أفعله أبدًا إلا ترك الشيطان من كل عمله، وولع بذلك حتى يؤثمه.

٤٦. **باب السمت الحسن والخشوع:** وهي من الأمور المفضلة التي يجب أن

يتصف بها المرء. قال أحد الصحابة: الهدي الصالح، والسمت الصالح، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة. وقوله عز وجل ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ [الفتح:٢٩]، أي الخشوع والتواضع.

- ويرتبط هذا الباب بموضوع سمات الشخصية Personality Traits (ص٥٩٥-٥٩٩).

٤٧. **باب الحب في الله:** فمن أوثق روابط الإيمان الحب في الله، والبغض فيه. قال رسول الله ﷺ: «**إن المتحابين في الله على منابر من نور يوم القيامة**».

٤٨. **باب إخفاء الدعاء:** قال رسول الله ﷺ: «**خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي**»، فالدعاء مطلوب ومستحب، ولكن في همس وبشكل ضمني أو خفي.

٤٩. **باب من يحبب الرب إلى خلقه:** فمن أحب عباد الله إلى الله، الذين يحبون الله، ويحببون الله إلى خلقه. فكما قال أبو الدرداء: لئن سألتم لأقسمن لكم أن أحب عباد الله إلى الله رعاة الشمس والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله.

٥٠. **باب النية:** فالأعمال كما قال الرسول ﷺ بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.

- ويرتبط هذا الباب بمفهوم النية أو المقصد Intention أحد المفاهيم الأساسية في مجال سيكولوجية الاتجاهات، والعلاقة بين الاتجاهات والسلوك. فقد استعان به المختصون في علم النفس الاجتماعي لتفسير التناقض: في تفسير العلاقة بين اتجاه الفرد وسلوكه الفعلي.

٥١. **باب من ترك الشيء لله تعالى:** فما من عبد ترك شيئًا لله إلا أبدله الله به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، ولا تهاون به عبد فأخذ به من حيث لا يصلح إلا أتاه الله بما هو أشد عليه.

٥٢. **باب البراءة من الكبر والهم في الدنيا:** فمن وضع جبينه لله ساجدًا، فليس بمتكبر، وقد برئ من الكبر. قال رسول الله ﷺ: «**براء من الكبر ركوب الحمار، ولبس الصوف، واعتقال العنز، ومجالسة فقراء المسلمين المساكين. أما الهم في الدنيا فهو مكروه، وفي الآخرة مطلوب ومحبوب**». وذلك كما يشير حديث الرسول ﷺ: «**من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همه، جعل الله الفقر بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته منها إلا ما قدر له**».

٥٣. **باب الحساب:** وفيها حديث عن مشاهد يوم القيامة. قال تعالى: ﴿**وَكُلَّ**

إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: ١٣]. وقال الرسول ﷺ: **«يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان: فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله».**

٥٤. **باب السخاء والبخل:** فالبخل من الأشياء الكريهة في حياة وتصرفات الفرد. ذكر لرسول الله ﷺ امرأة متعبدة، وقيل: إنها بخيلة، قال: «**فما خيرها إذًا؟**» فلا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلًا ولا جبانًا.

٥٥. **باب الحياء:** قال رسول الله ﷺ: «**الحياء خير كله**». كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إن لكل دين خلقًا، وإن خلق الإسلام الحياء**».

الجزء الثالث: من كتاب الزهد

٥٦. **باب من أتي مسجد قباء:** قال رسول الله ﷺ: «**من أتى مسجد قباء، فصلى فيه ركعتين أو أربعًا كانت له كعمرة**». وكان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكبًا وماشيًا.

٥٧. **باب الكذب والصدق:** فالكذب من الصفات المذمومة والكريهة، ولا يصلح في هزل ولا جد. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة:١١٩]. فيجب على المسلم أن يتحرى الصدق في كل شيء، حتى لا يكون للفجور في قلبه موضع إبرة يستقر فيه.

- ويرتبط هذا الباب بالقيم الأخلاقية Moral Values (كالصدق والأمانة) التي يكتسبها الطفل من البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه. وتنعكس هذه القيم في أفكاره أو تصوراته وأفعاله أثناء تفاعله مع الآخرين. (ص٦٩٥-٧٠٢).

٥٨. **باب صلة الرحم:** فالرحم معلقة بالعرش تنادي: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني. قال الرسول ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**»، وقال الله عز وجل: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ [محمد:٢٢].

- ويرتبط هذا الباب بالتفاعل الاجتماعي Social Interaction بين الأفراد (ص٧٠٢-٧٢٥).

٥٩. **باب الحلم:** قال تعالى: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ [الفرقان:٦٣]، أي حلماء لا يجهلون، وإن جهل عليهم حلموا، فالحلم من أكثر الأشياء نفعًا.

٦٠. **باب الخلق الحسن:** وهو من الصفات الإيجابية والمفضلة التي يجب أن يتصف بها الفرد. قال الرسول ﷺ: **«أكمل المؤمنين أحسنهم خلقًا»**.

٦١. **باب البغي:** وهو من الأشياء المذمومة، والذنوب التي يحاسب عليها الفرد. قال رسول الله ﷺ: **«ذنبان معجلان لا يؤخران: البغي وقطيعة الرحم»**، كما قال: **«لو أن جبلًا بغى على جبل لدك الباغي منهما»**.

- وترتبط هذه الأبواب الثلاثة السابقة بالتفاعل الاجتماعي بين الأفراد (ص٧٢٥-٧٤٦).

٦٢. **باب الغيبة:** قال رسول الله ﷺ: «الغيبة أن يذكر الرجل بما فيه من خَلْقه أو خُلُقه»، أما ما ليس فيه من خُلُقه فذلك هو البهتان. وهذا من الأشياء المذمومة، قال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾ [الهمزة:١].

٦٣. **باب الحسد:** قال رسول الله ﷺ: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها»**، وهو من الشيطان.

- ويرتبط هذا الباب بموضوع الانفعالات وبخاصة انفعال الحسد (ص٧٥٣-٧٥٦).

٦٤. **باب النميمة:** قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة قتات»**، أي النمام الذي يمشي بين الناس بالنميمة. فمن الخيانة أن يحدث الرجل بسر أخيه.

٦٥. **باب الستر:** فمن سمع بفاحشة، فأفشاها، كان فيها كالذي بدأها. وقد أمر الرسول ﷺ بستر العيوب والمساوئ التي يظهرها الآخرون.

٦٦. **باب الرفق:** فالرفق رأس الحكمة. وقال رسول الله ﷺ: **«إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي ما لا يعطي على العنف»**. ومن يعطى الرفق في الدنيا نفعه في الآخرة.

- ويرتبط هذا الباب بمفهوم الشدة – اللين Toughmindedness - Tendermindedness كأحد الأبعاد الأساسية في تفسير الاتجاهات الاجتماعية (ص٧٧٦-٧٨٥).
- كما ترتبط الأبواب الثلاثة السابقة بسمات الشخصية، وبالعلاقات الاجتماعية بين الأفراد (ص٧٥٦-٧٨٥).

٦٧. **باب صفة النفاق:** من تعريفات المنافق أنه هو: الذي يصف الإسلام ولا

يعمل به. وقد اعتبروا المنافق منافقًا بثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر. وقال رسول الله ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، وإن كانت فيه خصلة منهن لم تزل فيه خصلة من نفاق حتى يدعها: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر**».

٦٨. **باب النظرة:** فكل نظرة يهواها القلب فلا خير فيها. وقال رسول الله ﷺ: «**لا تتبع النظرة بعد النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة**».

- ويرتبط هذا الباب بالتخاطب غير اللفظي Non-Verbal Communication من خلال نظرة العين، Eye Contact، والإشارات، والرموز Symbols .. إلخ (ص٧٩٣-٨٠١).

٦٩. **باب الخدمة والتواضع:** وفيه إشارة واضحة إلى أن يكون المرء خدومًا لنفسه وللآخرين، متواضعًا في كل أعماله وتصرفاته.

٧٠. **باب الرحمة:** قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرحم عبده المؤمن يوم القيامة برحمته العصفورَ**». فالرحمة من الأمور المطلوبة في تعاملنا مع الآخرين لما فيها من خير وتواد بين الأفراد. ورحمة الأفراد بعضهم لبعض مرتبطة برحمة الله لعباده.

٧١. **باب الخرب:** وهو من الأشياء التي تؤدي إلى هلاك وفساد الأفراد.

- والخَرِب: واحدتها الخَرِبة موضع الخراب (المعجم الوسيط).

٧٢. **باب الإنصات:** قال أحد الفقهاء: أُغْدُ عالمًا أو متعلمًا أو منصتًا أو محبًا لذلك، ولا تكن الخامس فتهلك. فالإنصات واجب في اثنتين: الصلاة والإمام يقرأ، وفي الجمعة والإمام يخطب.

- وفيه إشارة واضحة لمفهوم التعلم Learning وأهميته في اكتساب المرء للمعرفة وتحصيل العلم (ص٨٢٥-٨٤٣).

٧٣. **باب كتاب أهل الخير بعضهم إلى بعض:** فالعبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، وإذا أحبه الله حببه إلى خلقه، وإن العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، وإذا أبغضه الله بغضه إلى خلقه. فمن أصلح بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح لله سريرته أصلح الله علانيته.

***

أغفل مؤرخو علم النفس الغربيون الإشارة إلى إسهام علماء النفس المسلمين في تطور علم النفس وتقدمه ، وما وصلوا إليه من آراء ونظريات لم يسبقهم إليها أحد من العلماء قبلهم . ويرجع ذلك الإغفال إلى جهلهم بتراث المسلمين العلمي ، وبما يحتوي عليه من آراء ومفاهيم ونظريات نفسية ، ولعل مسؤولية ذلك إنما ترجع إلى عدم اهتمام علماء النفس المحدثين بدراسة تراثنا العلمي والتعريف به . وتأتي هذه الموسوعة - ذات الأجزاء الثلاثة - لتبرز الدور المهم الذي قام به علماء النفس المسلمون في تطور علم النفس وتوضح القيمة العلمية لما قدموه من آراء حول بعض موضوعات علم النفس ، فتمكن الباحثين المعاصرين من الإحاطة بموضوعات التراث العربي الإسلامي كخطوة لتأصيل هوية عربية إسلامية لعلم النفس المعاصر . وتتناول الموسوعة بالشرح والتفصيل عرض وتكشيف ٣٠٠ كتاب ومخطوط من أمهات الكتب في التراث العربي الإسلامي والمتضمنة مفاهيم ومصطلحات ونظريات وآراء نفسية . والموسوعة تسهم في ملء ثغرة كبيرة افتقدها التأريخ الموضوعي لعلم النفس وتبرز الدور العلمي للعلماء والمفكرين العرب والمسلمين في مجال الدراسات والنظريات النفسية .

Dar-Alsalam Designs

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية

هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢

فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٠٠٢٠٢)

الإسكندرية - هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٠٠٢٠٣)

www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com